أسماء الله الحسنى

في خواتم آيات

سورة الفاتحة والبقرة



د. علي بن سليمان العبيد

عضو هيئة التدريس بكلية أصول الدين

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

دار العاصمة





أسماء الله الحسنى
في خواتم آيات سورة الفاتحة والبقرة

د. علـــي بن سليمـــان العبيـــد
عضو هيئة التدريس بكلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



ح دار العاصمة للنشر والتوزيع ١٤١٨هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
العبيد، علي بن سليمان
ختم الآيات بأسماء الله الحسنى ودلالتها ـ الرياض.
١١٢ ص؛ ١٧ - ٢٤ سم
ردمك ٩ـ ٩٥ ـ ٧٤٩ ـ ٩٩٦٠
١ ـ القرآن الكريم أ ـ العنوان
ديوي ٢٢٠ ١٨/٣٩٢١

رقم الإيداع ١٨/٣٩٢٢
ردمك: ٩ ـ ٩٥ ـ ٧٤٩ ـ ٩٩٦٠

الطبعة الأولى ١٤١٨هـ

دار العاصمة
المملكة العربية السعودية

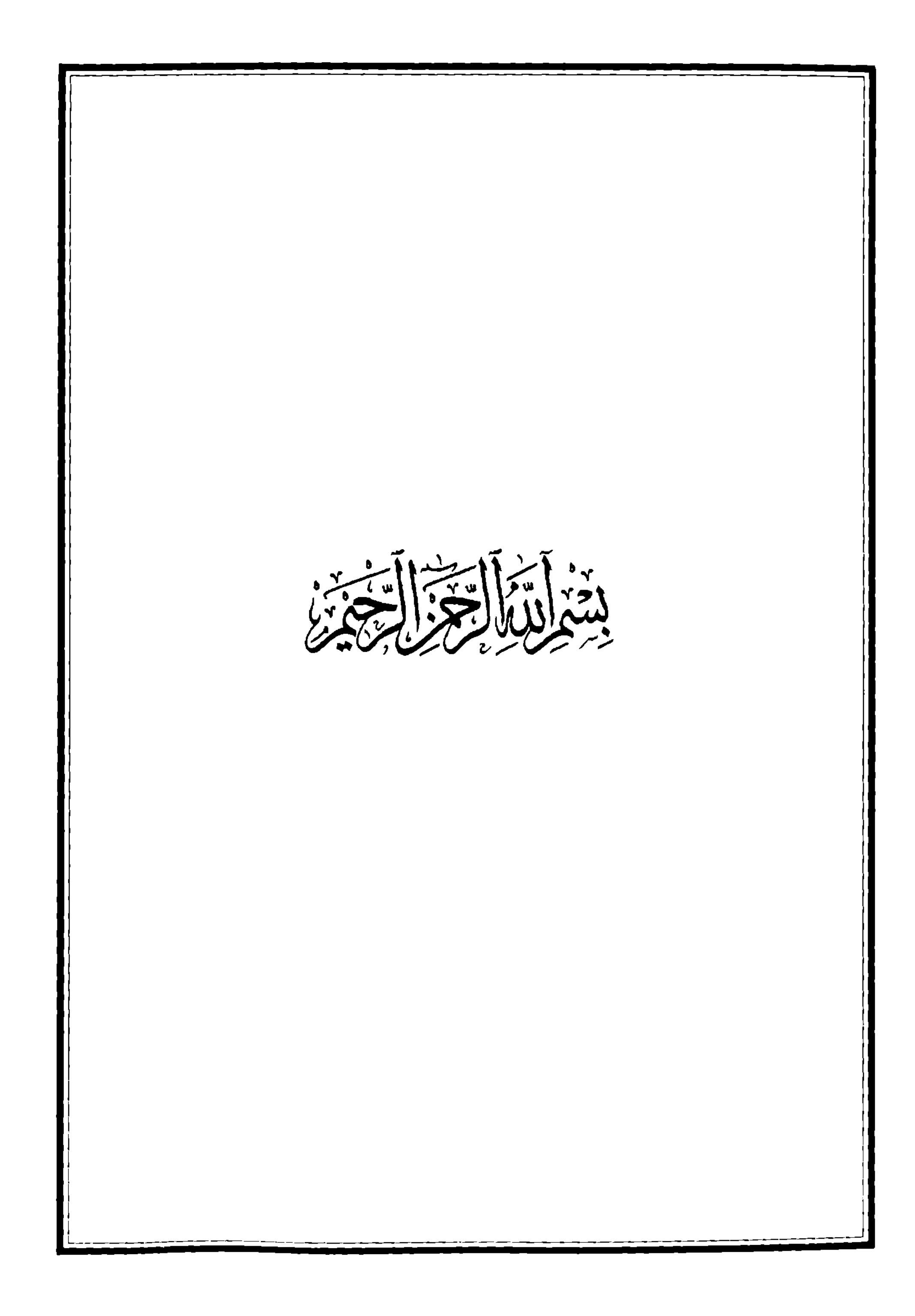
الرياض ـ ص.ب ٤٢٥٠٧ ـ الرمز البريدي ١١٥٥١
هاتف ٤٩١٥١٥٤ ـ ٤٩٣٣٣١٨ ـ فاكس ٤٩١٥١٥٤



أسماء الله الحسنى في

خواتم آيات سورة الفاتحة والبقرة




بسم الله الرحمن الرحيم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، سبحانه وتعالى له الأسماء الحسنى والصفات العُلىٰ، وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الأحد الفرد الصمد، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وأصلي وأسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعـــد:

فإن القرآن الكريم لا تنقضي عجائبه، ولا تنتهي أسراره، ويكفي أنه كلام رب العالمين، وهو معجز من جميع وجوهه: في ألفاظه ومبانيه، وفي أحكامه وحكمه ومعانيه، وفي خبره عن الأمور الماضية وإخباره عن الأمور المستقبلية.

وإنَّ مما يلفتُ نظرَ القاريء للقرآن الكريم فواصلُ آياته وختمها بأسماء الله الحسنى، ولا شك أن لذلك معناه ودلالته، وموقعه من الآية.

وكنت قد كتبت بحثًا بعنوان: «ختم الآيات بأسماء الله الحسنى ودلالتها» تحدثت فيه عن معنى الفاصلة، وعلاقتها بالآية، ودلالتها في القرآن، وأنواعها فيه، وأسماء الله الحسنى في خواتم الآيات، ودلالتها. وهنا أريد تطبيق ذلك على القرآن الكريم، فبدأت بسورتي الفاتحة والبقرة: أُبيِّن معنى الاسم في حق الله تعالى، ثم صلته بالآية، وإن بدا لي وجه في اقتران اسمين مع بعضهما أو في تقديم اسم على آخر ذكرته.

والله تعالى أسأله التوفيق و السداد، والإخلاص في القول والعمل، إنه سميع مجيب.

د. علي بن سليمان العبيد



أسماء الله الحسنى
في خواتم آيات سورة الفاتحة

١ ـ قال الله تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الآية: ١].

٢ ـ قال الله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الآية: ٢].

● **معنى «الرحمن» و«الرحيم» في حق الله تعالى:**

هاتان الآيتان[١] خُتمتا باسمين كريمين من أسماء الله الحسنى، هما «الرحمن» و«الرحيم»، وهما مشتقان من الرحمة.

وذكر العلماء فروقًا عديدة بينهما، أظهرها ثلاثة:

الأول: أن «الرحمن» صيغة مبالغة في كثرة الشيء وعِظَمِه ولا يلزم منه الدوام لذلك. و«الرحيم» لدوام الصفة.

فيكون معناهما: العظيم الرحمة الدائمها[٢].

---

(١) ذكرتُ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ على أنها الآية الأولى من سورة الفاتحة بناءً على رأي من قال بذلك: كعلي بن أبي طالب، وأبي هريرة، وابن عباس، وابن عمر، وابن مسعود، ومحمد بن كعب القرظي، وابن الزبير، وسعيد بن جبير، وابن شهاب، وعبدالله بن المبارك، والشافعي، وإسحاق، وأبي عبيد، ورواية عن الإمام أحمد، وبه قال قراء مكة والكوفة.
انظر: البيان في عد آي القرآن، ص٥٣، ٥٤، والمغني لابن قدامة، ج٢ ص١٥١، والدر المنثور، ج١ ص٢٠، وقد فصل ذلك أحمد محمد شاكر في تعليقه على سنن الترمذي. انظر: (ج٢ ص١٦ـ٢٥).

(٢) انظر: كشف المعاني في المتشابه من المثاني، ص٨٥.



الثاني: أن «الرحمن» ذو الرحمة الشاملة التي وسِعت الخلق في أرزاقهم ومصالحهم، وعمت المؤمن والكافر.

و«الرحيم» خاص بالمؤمنين، قال عز وجل: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[1].

الثالث: أن «الرحمن» دال على الصفة الذاتية، و«الرحيم» دال على الصفة الفعلية. قال ابن القيم[2]: «إن «الرحمن» دال على الصفة القائمة به سبحانه، و«الرحيم» دال على تعلقها بالمرحوم، فكان الأول للوصف، والثاني للفعل. فالأول دال على أن الرحمة صفته، والثاني على أنه يرحم خلقه برحمته.

وإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[3]، ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[4] ولم يجىء قط، رحمن بهم.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤٣. وذهب إلى هذا أبوعلي الفارسي، وأبوسليمان الخطابي وغيرهما.
انظر: تفسير أسماء الله الحسنى لأبي إسحاق الزجاج ص٢٨، وزاد المسير، ج١ ص٩، والجامع لأحكام القرآن، ج١ ص١٠٥.

(٢) ابن القيم: هو محمد بن أبي بكر بن أيوب الزّرعي الدمشقي المعروف بـ «ابن قيم الجوزية»، برع في علوم متعددة، لاسيما علم التفسير والحديث، وكان حسن القراءة والخلق، تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية، وأخذ عنه علمًا جمًا، له تصانيف كثيرة منها: إعلام الموقعين، وشفاء العليل، وزاد المعاد. توفي سنة ٧٥١هـ.
انظر: البداية والنهاية، ج١٤ ص٢٣٤، وكتاب «ابن قيم الجوزية» للدكتور عبدالعظيم شرف الدين.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٤٣.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١١٧.



فعُلم أن «رحمن» هو الموصوف بالرحمة، و«رحيم» هو الراحم برحمته.

وهذه نكتة لا تكاد تجدها في كتاب، وإن تنفست عندها مرآة قلبك لم ينجل لك صورتها»(١).

● **وجه تكرار الاسمين في آيتين متقاربتين:**

أما لماذا تكررا في آيتين، ولم يفصل بينهم إلا بآية واحدة؟ فقد ذكر المفسرون لذلك حِكمًا عديدة منها:

١ ـ عظم قدرهما، وتأكيد أمرهما(٢).

٢ ـ أنهما كُررا لتعليل استحقاق الله جل ذكره الحمد، فيكون المقصود: وجبَ الحمد لله؛ لأنه الرحمن الرحيم(٣).

٣ ـ أن الرحمة هي الإنعام على المحتاج، ولم يكن في الآية الأولى ذكر المنعَم عليهم، فأعادها مع ذكرهم، فقال: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ لهم جميعًا ينعم عليهم ويرزقهم، «الرحيم» بالمؤمنين خاصة(٤).

---

(١) بدائع الفوائد، ج١ ص٢٤.

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، ج١ ص٢٠٧، والبحر المحيط، ج١ ص١٩.

(٣) قال هذا التوجيه أبوالقاسم الحسن بن حبيب النيسابوري.
انظر: غرائب التفسير للكرماني، ج١ ص١٠٠.

(٤) ذكر هذا التوجيه الكرماني في البرهان في توجيه متشابه القرآن ص٢١، وغرائب التفسير وعجائب التأويل، ج١ ص١٠٠.

● **وجه تقديم «الرحمن» على «الرحيم»:**

ووجه مناسبة تقديم الرحمن على الرحيم ـ مع أن «الرحمن» أبلغ في الوصفَ بالرحمة من «الرحيم»، وعادة العرب في صفات المدح الترقي من الأدنى إلى الأعلى ـ ذكرها الزين الرازي[١] الذي بدأها بوجه تقديم لفظ الجلالة «الله» حيث قال:

«إنما قدمه؛ لأن «الله» تعالى اسمٌ خاصٌّ بالباري، لا يُسمَّى به غيره لا مفردًا ولا مضافًا، فقدَّمه.

و«الرحيم» يوصف به غيره مفردًا ومضافًا فأخَّره.

و«الرحمن» يوصف به غيره مضافًا، ولا يوصف به مفردًا إلا الله تعالى، فوسَّطه»[٢].

* * *

---

(١) الرازي: هو زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، لغوي، مفسر، فقيه، صاحب كتاب «مختار الصحاح»، توفي بعد سنة ٦٦٦هـ.
انظر: هدية العارفين، ج٢ ص١٢٧، والأعلام ج٦ ص٥٥.

(٢) تفسير الرازي المسمى «أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة من غرائب آي التنزيل» ص١٩.

أسماء الله الحسنى
في خواتم آيات سورة البقرة

١ ـ قال الله تعالى: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية: ٢٠].

● **معنى «القدير» في حق الله تعالى:**

ختم الله عز وجل هذه الآية باسمه «القدير»، قال القرطبي[١]: «وأجمعت الأمة على تسمية الله تعالى بـ «القدير» فهو سبحانه قدير قادر مقتدر»[٢].

والفرق بينها: أن «القادر» هو الذي إن شاء فعل، وإن لم يشأ لم يفعل.

و«القدير» هو الفعَّال لكل ما يشاء كما يشاء، ولذلك لم يوصف به غير الباري جل جلاله.

---

(١) القرطبي: هو أبوعبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري القرطبي، أحد كبار المفسرين الصالحين، رحل إلى الشرق، وتوفي بمصر سنة ٦٧١هـ، له الجامع لأحكام القرآن، والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى.
انظر: القرطبي مفسرًا «رسالة ماجستير»، وطبقات المفسرين للداودي، ج٢ ص٦٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، ج١ ص٢٢٤.



و«المقتدر» مبالغة في الوصف بالقدرة التامُّها، الذي لا يمتنع عليه شيء[١].

● **صلة الاسم بالآية:**

وصف الله عز وجل نفسه بالقدرة على كل شيء؛ لأنه حذر المنافقين بأسه وسطوته، وأخبرهم أنه بهم محيط، وعلى إذهاب أسماعهم وأبصارهم قدير، ثم قال: فاتقوني أيها المنافقون، واحذروا خداعي وخداع رسولي وأهل الإيمان بي، لا أُحِلَّ بكم نقمتي، فإني على ذلك وعلى غيره من الأشياء قدير[٢].

قال ابن عطية[٣]: «وخصَّ هنا صفته التي هي القدرة بالذكرِ؛ لأنه تقدم ذكر فِعْل مُضَمَّنُه الوعيد والإخافة، فكان ذكر القدرة مناسبًا لذلك»[٤].

* * *

---

(١) انظر: تفسير أبي السعود، ج١ ص٩٩، وتفسير أسماء الله الحسنى ص٥٩.

(٢) انظر: جامع البيان، ج١ ص٣٦١.

(٣) ابن عطية: هو عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن الغرناطي، مفسر، فقيه أندلسي، له: المحرر الوجيز وغيره، توفي سنة ٥٤١هـ.
انظر: طبقات المفسرين للداودي، ج١ ص٢٦٠.

(٤) المحرر الوجيز، ج١ ص١٩٦.

٢ ـ قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الآية: ٢٩].

● **معنى «العليم» في حق الله تعالى:**

ختم الله عز وجل هذه الآية باسمه «العليم» فهو العالم العليم العلَّام، وهذه الأوصاف للمبالغة، ويقصد بها في صفات الله تكثير المتعلق لا تكثير الوصف؛ لأن علمه تعالى واحد لا تكثير فيه، فلما تعلَّق علمه تعالى بالجميع كليه وجزئيه، دقيقه وجليله، معدومه وموجوده، وصف نفسه بالصفة التي دلت على المبالغة[١].

● **صلة الاسم بالآية:**

في هذه الآية قرن الله عز وجل بين خلقه للأرض، وقصده لخلق السماوات، فسواهن سبعًا، فخلقها وأحكمها وأتقنها، وبين إثبات علمه؛ لأن خلقه للمخلوقات أدل دليل على علمه وحكمته، وقدرته، وإحاطته بالجزئيات والكليات[٢].

❊ ❊ ❊

---

(١) انظر: البحر المحيط، ج١ ص١٣٦، وروح المعاني، ج١ ص٢١٧.

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، ج٢ ص١٧٣، وتفسير السعدي، ج١ ص٦٩، ٧٠.



٣ ـ قال الله تعالى: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الآية: ٣٢].

● معنى «العليم» و«الحكيم» في حق الله تعالى:

ختم الله عز وجل هذه الآية باسمين كريمين هما «العليم» و«الحكيم» فهو العليم العالم بما كان وما يكون قبل كونه، ولا يزال كذلك، كما لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، المحيط علمه بجميع الأشياء: ظاهرها وباطنها، دقيقها وجليلها، على أتم الإمكان[١].

وهو الحكيم الذي يُحْكِم الأشياء ويتقنها على غاية الإحكام، قال ابن جرير[٢]: «و «الحكيم» الذي لا يدخل تدبيرَه خللٌ ولا زلل»[٣].

وقال ابن كثير[٤]: («الحكيم» في خلقك وأمرك، وفي تعليمك

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٣ ص٢٩٢.

(٢) ابن جرير: هو أبوجعفر محمد بن جرير الطبري، أحد الأئمة العلماء، الحافظين لكتاب الله، العارفين بقراءاته، البصيرين بمعانيه، له التفسير الذي لم يصنف أحد مثله «جامع البيان» وله «تهذيب الآثار» توفي سنة ٣١٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، ج١٤ ص٢٦٧، وطبقات المفسرين للداودي، ج٢ ص١٠٦.

(٣) جامع البيان، ج٣ ص٨٨.

(٤) ابن كثير: هو أبوالفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي الشافعي، الإمام الحافظ، المفسر، له «تفسير القرآن العظيم» و«البداية والنهاية»، توفي سنة ٧٧٤هـ.
انظر: طبقات المفسرين للداودي، ج١ ص١١٠.

ما تشاء ومنعك ما تشاء، لك الحكمة في ذلك، والعدل التام)[١].

● **صلة الاسمين بالآية:**

وصلة هذين الاسمين بالآية أن الملائكة لما نفوا عن أنفسهم العلم أثبتوه لله تعالى على أكمل أوصافه من المبالغة فيه، فكأنهم قالوا: أنت العالم بكمل المعلومات التي من جملتها استعداد آدم عليه السلام للخلافة، ثم أتبعوا الوصفَ بالعلم الوصف بالحكمة، فكأنهم قالوا: أنت أيضًا الحكيم الذي لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة من جعل آدم خليفة، وتعليمه ما هو قابل له من العلوم المتعلقة بأمر الخلافة[٢].

قال أبوحيان[٣]: «فانظر إلى حسن هذا الجواب! كيف قدموا بين يديه تنزيه الله، ثم اعترفوا بالجهل، ثم نسبوا إلى الله العلم والحكمة»[٤].

● **مناسبة تقديم «العليم» على «الحكيم»:**

ووجه مناسبة تقديم العليم على الحكيم:

لأن العلم هو المناسب لما تقدم في قوله: «وعلَّم» «أنبئوني» «لا علم لنا» فجاء متصلاً به.

---

(١) تفسيرابن كثير، ج١ ص٧٤.

(٢) انظر: البحر المحيط، ج١ ص١٤٨، وتفسير أبي السعود، ج١ ص١٤٩-١٥٠.

(٣) أبوحيان: هو أثير الدين محمد بن يوسف بن حيان الغرناطي، النحوي، اللغوي، المفسر، المقرئ، له «البحر المحيط» وغيره، توفي سنة ٧٤٥هـ.
انظر: طبقات المفسرين للداودي، ج٢ ص٢٨٦.

(٤) البحر المحيط، ج١ ص١٤٨.



أو لأن الحكمة إنما هي من آثار العلم وناشئة عنه، ولهذا أكثر ما جاء في القرآن تقديم العليم على الحكيم.

أو ليكون آخر مقالتهم مخالفًا لما يتوهم من أولها، حتى يبين رجوعهم عن قولهم ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾[1].

* * *

(١) انظر: البحر المحيط، ج١ ص١٤٨، وروح المعاني، ج١ ص٢٢٧، وتفسير التحرير والتنوير، ج١ ص٤١٦.

٤ ـ قال الله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الآية: ٣٧].

● **معنى «التواب» و«الرحيم» في حق الله تعالى:**

ختم الله عز وجل هذه الآية باسمين كريمين هما: «التواب» و«الرحيم»، فهو التواب على من تاب إليه ـ من عباده المذنبين ـ من ذنوبه، التارك مجازاته بإنابته إلى طاعته بعد معصيته بما سلف من ذنبه[١].

قال الخطابي[٢]: «التواب» هو الذي يتوب على عبده، ويقبل توبته، كلما تكرَّرت التوبة تكرر القبول[٣].

وقال أبوحيان: «والتواب من أسمائه تعالى، وهو الكثير القبول لتوبة العبد، أو الكثير الإعانة عليها»[٤].

واسم الله «الرحيم» سبق بيانه في الموضع الأول من سورة الفاتحة[٥].

---

(١) انظر: جامع البيان، ج١ ص٥٤٧.

(٢) الخطابي: هو أبوسليمان حمْد بن محمد البستي، فقيه، محدث، له: معالم السنن، وبيان إعجاز القرآن. توفي سنة ٣٨٨هـ.
انظر: الأعلام، ج٢ ص٢٧٣.

(٣) شأن الدعاء، ص٢٠.

(٤) البحر المحيط، ج١ ص١٦٧.

(٥) انظر: ص ٧.



● **صلة الاسمين بالآية:**

يبين الله عز وجل بأن آدم عليه السلام أخذ كلمات التوبة من الله تعالى، وقالها طلبًا للمغفرة والتوبة، فتاب الله عليه؛ لأنه عز وجل هو التواب الرحيم، فناسب أن يختم توبة آدم باسميه عز وجل: التواب الرحيم.

● **الحكمة في اقتران التواب بالرحيم:**

قرن الله عز وجل التواب بالرحيم لحكم جليلة منها:

١ ـ أن «الرحيم» يدل على تفضله عز وجل على عبده ـ مع التوبة ـ بالرحمة، ورحمته إياه إقالة عثرته، وصفحه عن عقوبة جرمه، فقبول التوبة سببه رحمة الله لعبده[١].

قال الآلوسي[٢]: «وقيل: في ذكر الرحيم بعده إشارة إلى أن قبول التوبة ليس على سبيل الوجوب ـ كما زعمت المعتزلة ـ بل على سبيل الترحم والتفضل، وأنه الذي سبقت رحمته غضبه، فيرحم عبده في عين غضبه، كما جعل هبوط آدم سبب ارتفاعه، وبعده سبب قربه، فسبحانه من تواب ما أكرمه، ومن رحيم ما

---

(١) انظر: جامع البيان، ج١ ص٥٤٨، والبحر المحيط، ج١ ص٦٧، والتحرير والتنوير، ج١ ص٤٣٩.

(٢) الآلوسي: هو أبوالفضل محمود بن عبدالله الحسيني الآلوسي، مفسر، محدث، أديب، له «روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني»، توفي ببغداد سنة ١٢٧٠هـ.
انظر: الأعلام، ج٧ ص١٧٦.

أعظمه»[١].

٢ ـ أن في الجمع بينهما وعدًا بليغًا للتائب بالإحسان مع العفو والغفران.

قال ابن جرير الطبري: «الرحيم بهم أن يعاقبهم بعد التوبة، أو يخذل من أراد منهم التوبة والإنابة، ولا يتوب عليه»[٢].

أما تقديم اسمه «التواب» على «الرحيم»؛ فلكون «الرحيم» جاريًا مجرى العلة للتواب؛ ولأن «التواب» أنسب لما قبله.

* * *

(١) روح المعاني، ج١ ص٢٣٨.

(٢) جامع البيان، ج١٤ ص٥٤٤.

وانظر: تفسير أبي السعود، ج١ ص١٦٠.

٥ ـ قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الآية: ٥٤].

● **صلة الاسمين «التواب» و«الرحيم» بالآية:**

ختمت هذه الآية باسمين كريمين هما: «التواب» و«الرحيم».

وقد سبق الحديث عنهما في الموضع الرابع من هذه السورة[(١)].

وصلتهما بهذه الآية: أنه عز وجل يُذَكِّر اليهود المعاصرين لنزول القرآن ومبعث محمد ﷺ، بما حصل من قوم موسى مع نبيهم موسى عليه السلام حيث ظلموا أنفسهم بالإشراك بالله حين اتخذوا العجل إلٰهًا فعبدوه من دون الله، وأن عليهم التوبة إلى خالقهم، وطريقها ـ حسب شريعتهم ـ أن يقتلوا أنفسهم قتلاً حقيقيًا: إما بأن يَقتل كلُ من عبد العجل نفسَه، وإما بأن يقتل من لم يعبد العجل من عَبَدَه، فكان ذلك توبتهم، فتاب الله عليهم[(٢)]، فذِكْره عز وجل لتوبتهم وتوبة الله عليهم، ناسبه أن يختم باسميه «التواب» و«الرحيم».

● **الحكمة في اقتران الاسمين في الآية:**

اسمه عز وجل «التواب» يدل على أنه الكثير التوبة على عباده وإن عظمت جرائمهم وتعددت، وأنه لولا رحمة الله عز وجل بعباده لعجل بإهلاكهم ببعض ذنوبهم الكبرى ولاسيما الشرك بالله.

---

(١) انظر: ص ١٧.

(٢) انظر: جامع البيان، ج٢ ص٧٣ـ٧٧.



٦ ـ قال الله تعالى: ﴿۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية: ١٠٦].

● صلة الاسم «القدير» بالآية:

ختم الله عز وجل هذه الآية باسمه الكريم «القدير»، وقد سبق بيان معناه في حق الله تعالى في الموضع الأول من هذه السورة[١]، وأضاف ابن جرير الطبري إلى أن معنى «قدير» في هذا الموضع بمعنى: قوي، يقال فيه: قد قدِرت على كذا وكذا، إذا قَوِيْت عليه، أقدِرُ عليه، وأقدُرُ عليه قُدْرَةً وقدْرانا ومَقْدِرة[٢].

وصلته بالآية: حيث بيَّن الله عز وجل سرّ نسخه للآيات والأحكام، بأنه تعالى يأمر بالشيء؛ لما يعلم فيه من المصلحة، ثم ينهى عنه، لما يرى في ذلك من الخير حينئذٍ، وأن ذلك من جملة الأشياء المقهورة تحت قدرته سبحانه، فمن عَلِمَ شمول قدرته تعالى لجميع الأشياء، عَلِمَ قدرته على النسخ قطعًا، ومن قدح في النسخ قدح في قدرته عز وجل، فالله قادر على كل شيء فله التصرف في شرعه بمحو وإثبات، وإبدال حكم بحكم، وبأن يأتي بالأَخْيَر لكم وبالمماثل[٣].

---

(١) انظر: ص ١١.
(٢) انظر: جامع البيان، ج٢ ص٤٨٤.
(٣) انظر: تفسير أبي السعود، ج١ ص٢٣٤، والبحر المحيط، ج١ ص٣٤٥، وتفسير السعدي، ج١ ص١٢٢.



٧ - قال الله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ۖ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية: ١٠٩].

● **صلة الاسم «القدير» بالآية:**

ختم الله عز وجل هذه الآية باسمه «القدير»، وقد مضى بيانه في الموضع الأول من هذه السورة[(١)].

وصلته بالآية؛ حيث تبين أن كثيرًا من اليهود لا يكتفون بكفرهم بالنبي ﷺ بل يودون أن ترجعوا كفارًا حسدًا لكم ولنبيكم، فهم يحسدونكم على نعمة الإسلام، ويتمنون أن تحرموا منها، ثم أمر بمعاملتهم بأحسن الأخلاق من العفو والصفح؛ حتى يأتي الله بأمره لكم بجهاده، فيتحقق النصر لكم بإذنه عز وجل، فهو عز وجل القدير القادر الذي لو شاء لأهلكهم الآن، ولكنه لحكمته أمركم بالعفو عنهم.

وفي ختم الآية بهذا الاسم إشعار بالانتقام من الكفار ووعد للمؤمنين بالنصرة والتمكين[(٢)]، كما يدل على أن هذا العفو والصفح ليس عن ضعف بل هو عن قوة وقدرة.

---

(١) انظر: ص ١١.

(٢) انظر: روح المعاني، ج١ ص٣٥٨، وتفسير المراغي، ج١ ص١٩١.

٨ ـ قال الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الآية: ١١٠].

● **معنى «البصير» في حق الله تعالى:**

ختم الله عز وجل هذه الآية باسمه الكريم «البصير» فهو البصير الذي يبصر كل شيء وإن رقّ وصغر، فيبصر دبيب النملة السوداء، في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء، ويُبصر ما تحت الأَرَضِين السبع، كما يبصر ما فوق السماوات السبع.

وهو البصير بأحوال عباده الذي لا يخفى عليه شيء من أعمالهم فهو محيط بها.

وهو البصير بمن يستحق الهداية من عباده ممن لا يستحقها[١].

● **صلة الاسم بالآية:**

حث الله عز وجل عباده في هذه الآية بالاشتغال بما ينفعهم من أداء الصلاة وإيتاء الزكاة وسائر أعمال الخير، وأنهم مهما عملوا من خير أو شر، سرًا وعلانية فهو عز وجل لا يخفى عليه شيء منها، فيجازى كل عامل بعمله.

قال ابن جرير في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: «وإن كان خرج مخرج الخبر، فإن فيه وعدًا ووعيدًا

---

(١) تفسير السعدي، ج٥ ص٦٢٢.



وأمرًا وزجرًا، وذلك أنه أعلم القوم أنه بصيرٌ بجميع أعمالهم، لِيَجدُّوا في طاعته، إذ كان ذلك مذخورًا لهم عنده حتى يُثيبهم عليه، كما قال: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ وليحذروا معصيته»[١].

قال أبوحيان: «وأتى بلفظ «بصير» دون مبصر: إما؛ لأنه من بَصُر فهو يدل على التمكن والسجية في حق الإنسان. أو لأنه فعيل للمبالغة بمعنى «مفعل» الذي هو للتكثير، ويحتمل أن يكون فعيل بمعنى مفعل كالسميع بمعنى المسمع»[٢].

* * *

---

(١) جامع البيان، ج٢ ص٥٠٦.
(٢) البحر المحيط، ج١ ص٣٤٩.

٩ ـ قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [الآية: ١١٥].

● **معنى «الواسع» و«العليم» في حق الله تعالى:**

ختم الله عز وجل هذه الآية باسمين كريمين هما: «الواسع» و«العليم» فالواسع: هو الذي يسع خلقه كلهم بالكفاية والإفضال والجود والتدبير(١).

وهو الواسع المغفرة والقدرة والعطاء، وهو الواسع العظمة والسلطان والملك، بل هو الواسع الصفات كلها، والنعوت ومتعلقاتها، بحيث لا يُحْصي أحدٌ ثناءً عليه عز وجل(٢).

والعليم: سبق بيانه في الموضع الثاني والثالث من هذه السورة(٣).

● **صلة الاسمين بالآية:**

بيَّن الله عز وجل في هذه الآية أن الأرض من جميع نواحيها لا تختص عبادة الله تعالى بها في مكان دون مكان، فإن مُنعتم من إقامة العبادة في المساجد ففي أي مكان فعلتم توليةَ وجوهِكم شطرَ القبلة

---

(١) جامع البيان، ج٢ ص٥٣٧، وتفسير ابن كثير، ج١ ص١٦٠، وتفسير الخازن، ج١ ص٩٩.

(٢) تفسير السعدي، ج٥ ص٦٣١.

(٣) انظر: ص ١٣، ١٤.



فأنتم متجهون إلى الله، فهو عز وجل وَسَّع عليكم القبلة ولم يضيق عليكم؛ لأنه واسع بإحاطته الأشياء ملكًا أو رحمة، وهو العليم بأعمالكم ونياتكم حينما تصلوا وتدعوا لا يغيب عنه منها شيء[١].

وفي اسمه «الواسع» إرشاد إلى سعة رحمته، وأنه يوسع على عباده في دينهم، ولا يكلفهم ما ليس في وسعهم[٢].

● **الحكمة في اقتران «الواسع» بـ «العليم»:**

جاء اقتران هذين الاسمين في القرآن الكريم في سبعة مواضع من كتاب الله، فالجامع بينهما ـ والله أعلم ـ أن الله عز وجل «واسع» فلا يخرج شيء عن إحاطته، و«عليم» فلا يخفى عليه شيء من أحوال الخالق.

أو أن الله عز وجل واسع العطاء والفضل بعلمه الذي وسع كل شيء.

أو «واسع» بمعنى أنه يسع علمه كل شيء، كما قال: ﴿وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[٣].

---

(١) انظر: تفسير أبي السعود، ج١ ص٢٤٣، وتفسير الخازن، ج١ ص٩٩، وروح المعاني، ج١ ص٣٦٥.

(٢) انظر: فتح البيان، ج١ ص٢١٠.

(٣) سورة طه، الآية: ٩٨.
وانظر: تفسير القرطبي، ج٢ ص٨٤.

١٠ ـ قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الآية: ١٢٧].

● **معنى «السميع» و«العليم» في حق الله تعالى:**

ختم الله عز وجل هذه الآية باسمين كريمين هما «السميع» و«العليم» فهو السميع لأقوال العباد، وهو الذي وسع سمعه كل شيء، لا يعزب عن سمعه مسموع وإن دق وخفي سرًا كان أم جهرًا[١].

والعليم: سبق بيان معناه في الموضع الثاني والثالث من هذه السورة[٢].

● **صلة الاسمين بالآية:**

يذكر الله عز وجل في هذه الآية أن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام عندما كانا يرفعان قواعد البيت دعوا الله عز وجل متضرعين إليه بأن يتقبل منهما هذا العمل، فهو السميع لدعائهما ومسألتهما، العليم بنياتهما.

قال أبوحيان: «وهاتان الصفتان مناسبتان هنا غاية التناسب، إذ صدر منهما عمل وتضرع سؤال، فهو السميع لضراعتهما وتسآلهما[٣]

---

(١) انظر: تهذيب اللغة للأزهري، ج٢ ص١٢٣، مادة «سمع». وتفسير ابن كثير، ج٢ ص٨٢.

(٢) انظر: ص ١٣، ١٤.

(٣) هكذا في البحر المحيط، ولعلها «وسؤالهما».

التقبل، وهو العليم بنياتهما في إخلاص عملهما»[١].

● **الحكمة من اقتران الاسمين مع بعضهما:**

اقترن الاسمان «السميع» و«العليم» في مواضع كثيرة في القرآن الكريم، وفي ذلك دلالة على إحاطة الله تعالى بالمخلوقات كلها، لا يخفى عليه شيء منها، فالجميع تحت سمعه وعلمه.

● **الحكمة في تقديم «السميع» على «العليم»:**

حين اقترن الاسمان «السميع» و«العليم» في نحو واحد وثلاثين موضعًا من القرآن الكريم، تقدم فيها الاسم الكريم «السميع» على «العليم» في جميع المواضع، ولعل الحكمة في ذلك كما قال أبو حيان:

«ولما كانت الأقوال هي الظاهرة لنا الدالة على ما في الباطن قدمت صفة السميع على العليم»[٢].

❊ ❊ ❊

---

(١) البحر المحيط، ج١ ص٣٨٨.
(٢) البحر المحيط، ج١ ص٤١١.



١١ - قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [الآية: ١٢٨].

● **صلة الاسمين «التواب» و«الرحيم» بالآية:**

ختم الله عز وجل هذه الآية باسمين كريمين هما: «التواب» و«الرحيم»، وقد مر بيانهما في الموضع الرابع من هذه السورة، والحكمة من اقترانهما[١].

أما صلتهما بهذه الآية: ففيها دعاء آخر من إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بأن يجعلهما مُسْلِمَين لله، وأن يجعل من ذريتهما أمة مسلمة له، وأن يعلمهما مناسك الحج، وأن يتوب عليهما، فهو كثير التوبة على عباده بقبولها منهم، المتفضل عليهم بالعفو والغفران، الرحيم بهم لإنجائهم من العذاب.

قال أبوحيان: «وهاتان الصفتان مناسبتان؛ لأنهما دعوا بأن يجعلهما مسلمين، ومن ذريتهما أمة مسلمة، وبأن يريهما مناسكهما، وبأن يتوب عليهما، فناسب ذكر التوبة عليهما، أو الرحمة لهما»[٢].

* * *

---

(١) انظر: ص١٧.

(٢) البحر المحيط، ج١ ص٣٩٢.



١٢ ـ قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الآية: ١٢٩].

● **معنى «العزيز» و«الحكيم» في حق الله تعالى:**

ختم الله عز وجل هذه الآية باسمين كريمين هما: «العزيز» و«الحكيم».

فالعزيز هو: المنيع الذي لا يُنال ولا يُغالب، وهو القوي الذي لا يعجزه شيء أراده، فهو الذي له العزة كلها: عزة القوة، وعزة الغلبة، وعزة الامتناع، فامتنع أن يناله أحدٌ من المخلوقات، وقهر جميع الموجودات، ودانت له الخليقة، وخضعت لعظمته(١).

والحكيم مر بيانه في الموضع الثالث من هذه السورة(٢).

● **صلة الاسمين بالآية:**

في هذه الآية دعاء آخر من إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بأن يرسل في هذه الأمة رسولاً منهم؛ ليكون أشفق عليهم، ويكونوا أعزَّ به وأشرف، وأقرب للإجابة؛ لأنهم يعرفون منشأه وصدقه وأمانته، يقرأ عليهم آيات الله، ويعلمهم القرآن وأسرار الشريعة، ويطهرهم من

---

(١) انظر: جامع البيان، ج٣ ص٨٨، وتفسير القرطبي، ج٢ ص١٣١، وتفسير السعدي، ج٥ ص٦٢٤.

(٢) انظر: ص ١٤.

الشرك والمعاصي[١].

فالله عز وجل هو «العزيز» القوي الذي لا يعجزه شيء أراده.

وهو «الحكيم» الذي لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة، ولا يدخل في تدبيره خللٌ ولا زللٌ.

قال ابن عطية: «وخَصَّا ـ أي إبراهيم وإسماعيل ـ هاتين الصفتين؛ لتناسبهما مع حالهما، أي: السميع لدعائنا، والعليم بنياتنا»[٢].

وقال أبوحيان: «وهاتان الصفتان مناسبتان لما قبلهما؛ لأن إرسال رسول متصف بالأوصاف التي سألها إبراهيم لا تصدر إلا عمَّن اتصف بالعزة وهي: الغلبة أو القوة أو عدم النظير. وبالحكمة التي هي إصابة مواقع الفعل، فيضع الرسالة في أشرف خلقه وأكرمهم عليه». ثم قال: «وتقدمت صفة العزيز على الحكيم؛ لأنها من صفات الذات، والحكيم من صفات الأفعال»[٣].

* * *

---

(١) انظر: روح المعاني، ج١ ص٣٨٦.
(٢) المحرر الوجيز، ج١ ص٤٨٨.
(٣) البحر المحيط، ج١ ص٣٩٣، وانظر: البرهان في علوم القرآن، ج١ ص٨٨.

١٣ ـ قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الآية: ١٣٧].

- **صلة الاسمين «السميع» و«العليم» بالآية:**

ختم الله عزوجل هذه الآية باسمين كريمين هما: «السميع» و«العليم»، وقد مَرَّ بيانهما في الموضع الأول والعاشر من هذه السورة[١].

وصلتهما بهذه الآية: حيث ذكر الله عز وجل في الآيات قبلها حِجاج أهل الكتاب ودعوتهم إلى الإسلام، وأشار إلى أقوالهم الباطلة، وأعمالهم الفاسدة، وفي هذه الآية بين أنهم إن آمنوا إيمانًا صحيحًا كإيمانكم فقد اهتدوا، وإن أبوا وتولوا، فإن موقفهم موقف الشقاق والنزاع والعداوة، والله تعالى سيكفيكهم بما يشاء، فهو السميع: لأقوالهم الباطلة من الدعوة إلى الكفر والضلال، العليم: بأعمالهم الفاسدة، وما يبطنون لك ولأصحابك المؤمنين من الحسد والبغضاء[٢].

قال أبوحيان: «مناسبة هاتين الصفتين: أن كلاً من الإيمان وضده مشتمل على أقوال وأفعال، وعلى عقائد ينشأ عنها تلك الأقوال والأفعال، فناسب أن يختم ذلك بهما، أي: وهو السميع لأقوالكم، العليم بنياتكم واعتقادكم»[٣].

---

(١) انظر: ص ١١، ٢٧.

(٢) انظر: جامع البيان، ج٣ ص١١٦.

(٣) البحر المحيط، ج١ ص٤١١.

١٤ ـ **قال الله تعالى:** ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الآية: ١٤٣].

معنى «الرؤوف» و«الرحيم» في حق الله تعالى:

ختم الله عز وجل هذه الآية باسمين كريمين هما: «الرؤوف» و«الرحيم».

فالرؤوف: ذو الرأفة، والرأفة أعلى معاني الرحمة، وهي عامة لجميع الخلق في الدنيا، ولبعضهم في الآخرة[(١)].

وبعض العلماء جعل معنى الرأفة كمعنى الرحمة[(٢)]. وبعضهم فرّق بينهما، فجعل الرأفة أعلى معاني الرحمة وأبلغها، يقال: فلان رحيم، فإذا اشتدت رحمته فهو رؤوف[(٣)]، قال الخطابي والرؤوف هو: الرحيم العاطف برحمته على عباده»[(٤)].

وقال الأقليشي[(٥)]: «الرأفة أعم من الرحمة، فمتى أراد الله بعبد

---

(١) جامع البيان، ج٣ ص١٧٠.
(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج، ج١ ص٢٢١.
(٣) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج ص٦٢.
(٤) شأن الدعاء ص٩١.
(٥) الأقليشي: هو أبوالعباس شهاب الدين أحمد بن معد المالكي، عالم مشارك في أنواع من العلوم كالحديث واللغة والأدب، له «تفسير العلوم والمعاني، توفي سنة ٥٥٠هـ.

رحمةً أنعم عليه بها، إلا أنها قد تكون عقيب بلاء، وقد لا تكون، والرأفة بخلاف ذلك»[١].

● صلة الاسمين بالآية:

ذكر الله عز وجل في هذه الآية مخاطبًا المؤمنين إلى أنه كما هديناكم إلى الصراط المستقيم، وهو دين الإسلام، وحوَّلناكم إلى قبلة إبراهيم عليه السلام واخترناها لكم. جعلنا المسلمين خيارًا عدولاً مؤهلين للشهادة على الأمم السابقة يوم القيامة، إذا أنكروا أن رسلهم قد بلغتهم رسالات ربهم، أما أنتم فيشهد عليكم رسولكم بالتبليغ.

ثم بين عز وجل العلة في تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، وهي اختبار المؤمنين، مَنْ يثبت على إيمانه وانقياده لله ولرسوله ممن يؤثر فيه قول السفهاء، وأن هذا الاختبار شاق على النفس إلا على الذين هداهم الله بمعرفة أحكام دينه وسر تشريعه.

وأخيرًا طمأن الله عز وجل المؤمنين بأن من كان صلى إلى بيت المقدس قبل أن تحوَّل القبلة فصلاته غير ضائعة وثوابه قائم، فيجزيهم بها جزاءً كاملاً، سواء من مات منهم وهو يصلي إلى بيت المقدس، أو مَنْ عمَّر حتى صلى إلى الكعبة.

وكل ما ذكر فإنه آثر من آثار رأفته تعالى بعباده ورحمته لهم، حيث ينقلهم من شرع إلى شرع متى ما رأى المصلحة تقتضي ذلك،

= انظر: سير أعلام النبلاء ج٢٠ ص٣٥٨، والأعلام، ج١ ص٢٥٩.

(١) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ورقة ٢٨٩ أ.



ويبتليهم بإظهار صدق الإيمان والإخلاص، ولا يضيع عمل العامل منهم، فهو الرؤوف بعباده، ذو الرحمة الواسعة بخلقه.

قال الشيخ السعدي[١]: «فمن رأفته ورحمته بهم:

أن يتم عليهم نعمته التي ابتدأهم بها.

وأن ميَّز عنهم من دخل في الإيمان بلسانه دون قلبه.

وأن امتحنهم امتحانًا، زاد به إيمانهم، وارتفعت به درجتهم.

وأن وجههم إلى أشرف البيوت، وأجلها»[٢].

● **الحكمة من اقتران الاسمين ببعضهما:**

ورد هذان الاسمان مقترنين ببعضهما في تسعة مواضع في القرآن الكريم، والحكمة ـ والله أعلم ـ من الجمع بينهما؛ للإشارة إلى أن الله عز وجل يرحم الرحمة البالغة لمستحقها، وهي الرأفة، كما يَرْحم مَنْ دون ذلك، وهي مطلق الرحمة.

أو لإفادة توكيد مدلول أحدهما بمدلول الآخر بالمساواة أو بالزيادة[٣].

---

(١) السعدي: هو أبوعبدالله عبدالرحمن بن ناصر السعدي، علاَّمة القصيم في وقته، ذو معرفة في الفقه وأصوله، والتفسر والتوحيد، له «تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن» و«الإرشاد إلى معرفة الأحكام» توفي سنة ١٣٧٦هـ.
انظر: مقدمة كتابه طريق الوصول إلى العلم المأمول.

(٢) تفسير السعدي، ج١ ص١٦٢.

(٣) انظر: التحرير والتنوير، ج٢ ص٢٥.

● **الحكمة في تقديم «رؤوف» على «رحيم»:**

عندما يقترن الاسمان «الرؤوف» و«الرحيم» مع بعضهما في خواتم الآيات نلحظ تقدم «رؤوف» على «رحيم» في القرآن كله، حتى في الموضع الذي ذكرا فيه وسط الآية كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾(١) مما يدل على أن تقديم رؤوف على رحيم لا يقصد به مراعاة الفاصلة.

والحكمة ـ والله أعلم ـ: أن الرأفة: مبالغة في رحمة خاصة، وهي دفع المكروه، وإزالة الضر، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾(٢) أي: لا ترأفوا بهما فترفعوا الجلد عنهما.

وأما الرحمة: فإنها اسم جامع يدخل فيه ذلك المعنى، ويدخل فيه الإفضال والإنعام، فذكر الله تعالى الرأفة أولاً بمعنى: أنه لا يضيع أعمالهم، ويخفف المحن عنهم، ثم ذكر الرحمة؛ لتكون أعم وأشمل، ولا تختص رحمته بذلك النوع، بل هو رحيم من حيث إنه دافع للمضار ـ التي هي الرأفة ـ وجالب للمنافع معًا(٣).

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٧.

(٢) سورة النور، الآية: ٢.

(٣) انظر: تفسير الفخر الرازي، ج٤ ص١١٩، وروح المعاني، ج٢ ص٧، والتحرير والتنوير، ج٢ ص٢٥.



١٥ ـ قال الله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية: ١٤٨].

● **صلة الاسم «القدير» بالآية:**

ختم الله عز وجل هذه الآية باسمه «القدير»، وقد مر معناه في الموضع الأول من هذه السورة[١].

وصلته بالآية: حيث تبين أن لكل أمة جهة وقبلة موَّليةً وجهها إليها في صلاتها، فاتركوا أيها المسلمون أهل تلك الملل، وسلموا بأمر الوحي، فلا فائدة من محاجة المشركين في القبلة، إنما عليكم المبادرة إلى امتثال الأوامر وفعل الخيرات، فمن جعل اللهُ له شريعةً أو قبلة أو صلاة فينبغي الاهتمام بالمسارعة إليها، فالله عز وجل هو القادر المقدر لكل شيء، وهو الذي يأتي بكم في أي مكان تكونون فيه، ويجمعكم للحساب، فأنتم لا تعجزونه، وافقتم أم خالفتم[٢].

أو المعنى: أينما تكونوا من الجهات المختلفة يجعل صلواتكم كلها إلى جهة واحدة كأنكم تصلون حاضري المسجد الحرام[٣]، فَجَمْعكم بعد أن كنتم أشلاء متمزقة في الجهات المتعددة، وجَمْعُكم في الصلاة متحدي الجهة مع اختلاف جهاتكم، دليل على قدرة الله تعالى.

---

(١) انظر: ص ١١.
(٢) انظر: جامع البيان، ج٣ ص١٩٢ـ١٩٧، والبحر المحيط، ج١ ص٤٣٩.
(٣) انظر: الكشاف، ج١ ص٣٢٢، وتفسير أبي السعود، ج١ ص٢٨٤.

١٦ ـ قال الله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الآية: ١٥٨].

- **معنى «شاكر» و«عليم» في حق الله تعالى:**

ختم الله عز وجل هذه الآية باسمين كريمين هما: «الشاكر» و«العليم»، فالشاكر: هو الذي يشكر اليسير من الطاعة، ويعطي عليه الكثير من المثوبة، وهو الذي يشكر القليل من العمل، ويغفر الكثير من الزلل، ويضاعف للمخلصين أعمالهم بغير حساب، ويشكر الشاكرين، ويذكر من ذكره، ومن تَقَرَّبَ إليه بشيء من الأعمال الصالحة تقرب الله منه أكثر(١).

والعليم سبق بيانه في الموضع الثاني من هذه السورة(٢).

- **صلة الاسمين بالآية:**

يبين الله عز وجل في هذه الآية أن الصفا والمروة من أعلام دينه الظاهرة، التي تَعَبَّدَ اللهُ بها عباده، خضوعًا له وتسليمًا، فمن حج البيت أو اعتمر فلا إثم عليه، ولا حرج من الطواف بهما وإن كان المشركون يطوفون بهما، فإن طوافهم كان كفرًا بسبب تعظيم الأصنام

---

(١) انظر: الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد للبيهقي، ص٥٩، وتفسير السعدي، ج٥ ص٦٣٠.

(٢) انظر: ص ١٣.

التي كانت عليهما، وأنتم تطوفون بهما إيمانًا وطاعة لأمر الله تعالى.

وإن من فعل الطاعة ـ من حج وعمرة، وطواف، وصلاة، وصوم وغير ذلك ـ مخلصًا بها لله تعالى، وأكثر منها، فإن الله شاكر له على تطوعه، مجازيه على الإحسان إحسانًا، وهو أيضًا عليم بما قصد وأراد، عليم بأعمال العباد، فلا يضيعها، بل يجدونها أوفر ما كانت على حسب نياتهم التي اطلع عليها العليم الحكيم[(١)].

● **الحكمة في اقتران الاسمين مع بعضهما:**

ورد هذان الاسمان مقترنين مع بعضهما في موضعين فقط في القرآن الكريم: في هذه الآية، وفي قوله تعالى: ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ﴾[(٢)].

والحكمة في اقترانهما ـ والله أعلم ـ؛ لأنه عز وجل الشاكر لكم بمعنى مثيبكم ومجازيكم على إيمانكم، وأعمالكم، وشكركم له، ولا يحصل هذا إلا من العليم بإيمانكم وأعمالكم ونياتكم.

قال أبوحيان: «وقد وقعت الصفتان هنا الموقع الحسن؛ لأن التطوع بالخير يتضمن الفعل والقصد، فناسب ذِكْر الشكر باعتبار الفعل، وذِكْر العلم باعتبار القصد»[(٣)].

---

(١) انظر: جامع البيان، ج٣ ص٢٤٧، وتفسير السعدي، ج١ ص١٨٥، والتفسير المنير، ج٢ ص٤٩.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٤٧.

(٣) البحر المحيط، ج١ ص٤٥٨.



١٧ ـ **قال الله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [الآيتان: ١٥٩، ١٦٠].

● **صلة الاسمين «التواب» و«الرحيم» بالآية:**

ختم الله عز وجل هذه الآية باسمين كريمين هما: «التواب» و«الرحيم» وقد مَرّا في الموضع الرابع من هذه السورة(١).

وصلتهمابهذه الآية والتي قبلها: حيث يندد الله عز وجل بأعمال أهل الكتاب ومنها كتمانهم لأمر الإسلام وأمر محمد ﷺ وما جاء به، وهم يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل بينًا واضحًا، يستحقون الطرد والبعد من رحمة الله، والدعاء عليهم باللعن من الملائكة والناس أجمعين، ويستثنى من أولئك: التائبون عن كتمان الحق، الراجعون عما هم عليه من الذنوب، المصلحون حالهم بالتقرب إلى الله، وبإصلاح ما فسد من أعمالهم، المبينون لما كتموه، وما عُهد إليهم في كتبهم، فهؤلاء يتوب الله عليهم ويرحمهم؛ لأنه عز وجل هو القابل التوبة من عباده بالعفو والصفح بعد الذنب إذا تابوا، الرحيم بهم بأن قبل توبتهم لطفًا وكرمًا(٢).

---

(١) انظر: ص ١٧.
(٢) انظر: جامع البيان، ج٣ ص٢٥٩. وتفسير السعدي جـ١ ص١٨٧.

١٨ ـ قال الله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [الآية: ١٦٣].

● صلة الاسمين «الرحمن» و«الرحيم» بالآية:

ختم الله عز وجل هذه الآية باسمين كريمين هما: «الرحمن» و«الرحيم» وقد مرّ معناهما في سورة الفاتحة[١].

وصلتهما بهذه الآية: حيث بين فيها بأنه الإله الواحد الأحد المتفرد في ذاته وصفاته، وأنه هو الذي وسعت رحمته كل شيء، فالذي يستحق أن يعبد هو المتصف بالرحمة التي لا تماثلها رحمة أحد، فبرحمته وجدت المخلوقات، وبرحمته حصلت لها أنواع الكمالات واندفع عنها كل نقمة، وبرحمته عرّف عباده نفسه بصفاته وآلائه، وبين لهم كل ما يحتاجون إليه من مصالح دينهم ودنياهم، بإرسال الرسل وإنزال الكتب[٢].

قال الفخر الرازي[٣]: «إنما خصّ هذا الموضوع بذكر هاتين الصفتين؛ لأن ذكر الإلهية الفردانية يفيد القهر والعلو، فعقبهما بذكر

---

(١) انظر: ص٧.
(٢) انظر: تفسير السعدي، ج١ ص١٨٨.
(٣) الفخر الرازي: هو فخر الدين محمد بن عمر الرازي، المفسر، المتكلم، إمام وقته في العلوم العقلية، له «التفسير الكبير» الذي سماه «مفاتيح الغيب» و«المحصول» توفي سنة ٦٠٦هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء، ج٢١ ص٥٠٠، وطبقات المفسرين للداودي، ج٢ ص٢١٤.



هذه المبالغة في الرحمة، ترويحًا للقلوب عن هيبة الإلهية، وعزة الفردانية، وإشعارًا بأن رحمته سبقت غضبه، وأنه ما خلق الخلق إلا للرحمة والإحسان»[١].

وفي وصف الله بالرحمن والرحيم إغاظة للمشركين، وزيادة في الرد عليهم، لأنهم أبوا وصف الله بـ «الرحمن» كما حكى الله عنهم بقوله: ﴿قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾[٢].

* * *

(١) تفسير الفخر الرازي، ج٤ ص١٩٦.

(٢) سورة الفرقان الآية: ٦٠، وانظر: التحرير والتنوير، ج٢ ص٧٦.

١٩ ـ **قال الله تعالى:** ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الآية: ١٧٣].

● **معنى «الغفور» و«الرحيم» في حق الله تعالى:**

ختم الله عز وجل هذه الآية باسمين كريمين هما: «الغفور» و«الرحيم». والغفور، والغافر، والغفّار: أسماء لله تعالى وردت في القرآن الكريم، وأصلها من الغَفْر، ومعناه في حق الله تعالى هو الذي يستر ذنوب عباده ويُغَطِّيهم بستره[(١)].

قال الحليمي[(٢)] في الفرق بينها: ««الغافر» وهو الذي يستر على المذنب، ولا يؤاخذه فيشهره ويفضحه.

و«الغفار» وهو المبالغ في الستر، فلا يشهر المذنب لا في الدنيا ولا في الآخرة.

و«الغفور» وهو الذي يكثر منه الستر على المذنبين من عباده ويزيد عفوه على مؤاخذته»[(٣)].

---

(١) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى ص٣٨.

(٢) الحليمي: هو أبوعبدالله الحسين بن الحسن البخاري الجرجاني، فقيه، شافعي، قاض، كان رئيس أهل الحديث في ما وراء النهر، له «المنهاج في شعب الإيمان» توفي سنة ٤٠٣هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء ج١٧ ص٢٣١.

(٣) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي، ج١ ص١٠٢.
وانظر: الأسماء والصفات للبيهقي ص٥٥، ٥٦.



أما الرحيم فقد مَرَّ معناه في سورة الفاتحة[١].

- **صلة الاسمين بالآية:**

بين الله عز وجل في هذه الآية ما حرَّمه علينا من الأطعمة فذكر الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله، ومع هذا فمن ألجأته الضرورة إلى أكل شيء منها، فلا إثم عليه بشرط أن لا يكون في سفره باغيًا على المسلمين، ولا عاديًا يقطع الطريق عليهم.

ولما كان هذان الشرطان ربما لا يستقصي الإنسان المضطر في تحقيقها، أخبر عز وجل أنه غفور لمن أخطأ في هذه الحال وزاد على قدر الحاجة، فيغفر ذنبه في تناول الزيادة، رحيم حيث أباح تناول قدر الحاجة.

أو يكون المعنى: أن مقتضى الحرمة قائم في هذه المحرمات، ثم رخص في تناولها مع قيام المانع، فعبر عن هذا الترخيص والإباحة بالمغفرة. ثم ذكر بعد الغفران صفة الرحمة، أي: لأجل رحمتي بكم أبحت لكم ذلك[٢].

- **الحكمة من اقتران الاسمين ببعضهما:**

اقترن الاسمان «الغفور» على «الرحيم» في القرآن الكريم في اثنين وسبعين موضعًا، كلها تقدم فيها «الغفور» على «الرحيم» إلا في

---

(١) انظر: ص ٧.

(٢) انظر: تفسير الفخر الرازي، ج٥ ص١٤، والبحر المحيط، ج١ ص٤٩١.

موضع واحد وهو قوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴾[1].

ولعل الحكمة في اقترانهما أنه عز وجل غفار وغفور للذنوب والسيئات وذلك فضل منه ورحمة بعباده.

* * *

---

(١) سورة سبأ، الآية: ٢.



٢٠ ـ قال الله تعالى: ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١٨١﴾ [الآية: ١٨١].

● **صلة الاسمين «السميع» و«العليم» بالآية:**

ختم الله عز وجل هذه الآية باسمين كريمين هما: «السميع» و«العليم» وقد مرَّ الأول منهما في الموضع العاشر، والثاني في الموضع الثاني من هذه السورة[1].

وصلتهما بهذه الآية: حيث بين فيها أنَّ من غَيَّر الوصية من شاهد ووصي: إما بإنكارها، أو بالنقص فيها، أو بتبديل صفتها، أو بغير ذلك، بعدما علمها وتحققت لديه، فإنما إثم التبديل والتغيير يقعان على المبدِّل والمغيِّر، أما المُوصي فقد ثبت له الأجر من الله. فالله عز وجل يسمع أقوال الموصين والمبدلين، ويعلم بنياتهم وأعمالهم فيجازيهم عليها.

❊ ❊ ❊

---

(١) انظر: ص ١٣، ٢٧.

٢١ ـ قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الآية: ١٨٢].

● صلة الاسمين «الغفور» و«الرحيم» بالآية:

ختم الله عز وجل هذه الآية باسمين كريمين هما: «الغفور» و«الرحيم» وقد مرا في الموضع التاسع عشر من هذه السورة[(١)].

وصلتهما بهذه الآية: حيث يبين الله عز وجل فيها ما يستثنى من إثم التبديل الوارد في الآية السابقة، فإذا حصل في الوصية حيف وجنف وإثم من قبل المُوصي، فإنّ على من حضر وقت الوصية بها، أن ينصح المُوصي وينهاه عن الجور فيها، وإن لم يفعل ذلك فينبغي له أن يصلح بين الموصىٰ لهم بتبديل ذلك الحيف، فإنه في هذه الحالة لا إثم عليه في هذا التبديل؛ لأنه تبديل باطل إلى الحق، وسيغفر الله عز وجل للمصلح ويثيبه على عمله؛ لأنه جل وعلا الرحيم بعباده.

أو المعنى: إن الله يغفر للموصي الجائر في وصيته، إذا احتسبوا بمسامحة بعضهم بعضًا؛ لأجل براءة ذمته؛ لأنه سبحانه الرحيم بعباده بفضله وكرمه[(٢)].

---

(١) انظر: ص ٤٣.

(٢) انظر: جامع البيان، ج٣ ص٤٠٨، وتفسير السعدي، ج١ ص٢٢٠.



٢٢ ـ **قال الله تعالى:** ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ۝ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الآيتان: ١٩١، ١٩٢].

● **صلة الاسمين «الغفور» و«الرحيم» بالآية:**

ختم الله عز وجل هذه الآية بالاسمين «الغفور» و«الرحيم» وقد وردا في الموضع التاسع عشر من هذه السورة[١].

وصلتهما بهذه الآية: حيث أمر الله عز وجل في الآية السابقة لها بقتال من يقاتلهم حيث تمكنوا منهم، وإخراجهم من ديارهم كما أخرجوهم من مكة، ولا تتحرجوا من القتل، فإن فتنتهم للمؤمنين لحملهم على الكفر أشد من قتل النفوس. ثم استثنى الله عز وجل من هذا العموم قتالَهم عند المسجد الحرام إلا أن يقاتلوكم فيه فحينئذٍ لا حرج عليكم من قتالهم فيه، فإن توقفوا عن القتال، وأنابوا إلى الإسلام وتابوا، فإن الله يغفر ذنوبهم ولو كانوا قد قتلوا المسلمين في حرم الله، ويرحمهم بفضله وكرمه؛ لأنه عز وجل غفور رحيم.

---

(١) انظر: ص ٤٣.

٢٣ ـ قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الآية: ١٩٩].

● صلة الاسمين «الغفور» و«الرحيم» بالآية:

ختم الله عز وجل هذه الآية بالاسمين الكريمين «الغفور» و«الرحيم» وقد مر معناهما في الموضع التاسع عشر من هذه السورة[١].

وصلتهما بهذه الآية: حيث لا زال الحديث في بيان أحكام الحج، وهنا يأمر الله عز وجل المؤمنين من قريش، أن يقفوا مع الناس في عرفات ويفيضوا منها كما يفعل سائر الناس من لدن إبراهيم عليه السلام إلى الآن، حيث كانوا يفيضون من أدنى عرفات ولا يشهدون موقف الناس بعرفات، فأمرهم الله بالوقوف معهم.

ثم لما كانت أعمال الحج لا تخلو من تقصير ووقوع في الخلل أمرهم بالاستغفار، فالله تعالى واسع المغفرة والرحمة لمن يطلب ذلك منه معه التوبة الخالصة.

أو المعنى: استغفروا الله مما أحدثتم من تغيير المناسك بعد إبراهيم عليه السلام، وإدخال الشرك في أعمال الحج، فالله تعالى واسع المغفرة، يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه؛ لأنه الرحيم بعباده عز وجل.

---

(١) انظر: ص٤٣.



٢٤ ـ قال الله تعالى: ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الآية: ٢٠٩].

● **صلة الاسمين «العزيز» و«الحكيم» بالآية:**

ختم الله عز وجل هذه الآية بالاسمين الكريمين وهما: «العزيز» و«الحكيم» وقد مرّا في الموضع الثاني عشر من هذه السورة[١].

وصلتهما بهذه الآية: حيث بيَّن فيها من زلَّ وأخطأ طريق الحق بعدما جاءته البينات والحجج القاطعات، ومن كان هذا حاله فليعلم أن الله عزيز ذو عزة لا يمنعه من الانتقام منه مانع، ولا يدفعه عن عقوبته دافع، حكيم فيما يفعل به من عقوبة. وكل ما رتبه عز وجل من عقوبات ومؤاخذات إنما هو من مقتضى حكمته جل وعلا[٢].

❊ ❊ ❊

---

(١) انظر: ص ٣٠.

(٢) انظر: جامع البيان، ج٤ ص٢٥٩، والبحر المحيط، ج٢ ص١٢٣.

٢٥ ـ قال الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [الآية: ٢١٥].

● **صلة الاسم «العليم» بالآية:**

ختم الله عز وجل هذه الآية باسمه الكريم «العليم» وقد مر معناه في الموضع الثاني من هذه السورة[١].

وصلته بالآية: حيث يبين الله فيها سؤال أصحاب محمد له عن أي شيء ينفقون من أموالهم، وعلى من ينفقون، فجاء الجواب ببيان أن ما ينفق هو المال وسائر الخيرات، وأن الأحق بالإنفاق عليهم هم: الوالدان، والأقربون، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل.

وكل ما تفعلونه من وجوه الخير والبر والطاعة فإن الله سيجزي به؛ لأنه عليم به، فهو محصيه لكم حتى يُوَفِّيكم أجوركم عليه كل على حسب نيته وإخلاصه، وكثرة نفقته وقلتها، وشدة الحاجة إليها، وعظم وقعها ونفعها[٢].

(١) انظر: ص١٣.
(٢) انظر: جامع البيان ج٤ ص٢٩١، وتفسير السعدي، ج١ ص٢٦٤.



٢٦ ـ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الآية: ٢١٨].

● **صلة الاسمين «الغفور» و«الرحيم» بالآية:**

ختم الله عز وجل هذه الآية بالاسمين الكريمين «الغفور» و«الرحيم» وقد مرَّا في الموضع التاسع عشر من هذه السورة[١].

وصلتهما بالآية: حيث بين فيها أن من اتصف بالإيمان وثبت عليه، وهاجر عن موطنه وماله وأهله؛ للقيام بنصرة الدين وإعلاء كلمة الله، وبذل جهده في مقاومة الكفار، والسعي في نصرة دين الله، هو الحقيق بأن يكون راجيًا لرحمة الله؛ لأنه أتى بالسبب الموجب لها. ولهذا ناسب أن يختم الآية باسمه الرحيم فهو: ذو الرحمة الواسعة الذي يحقق له ما طمع فيه من رحمته.

وذكر اسمًا آخر وهو أنه تعالى غفور لما وقع منه قبل الإيمان، ولما يتخلل في حالة الإيمان من بعض المخالفة[٢].

* * *

---

(١) انظر: ص٤٣.

(٢) انظر: البحر المحيط، ج١ ص١٥٢، ١٥٤.

٢٧ ـ **قال الله تعالى:** ﴿فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الآية: ٢٢٠].

● **صلة الاسمين «العزيز» و«الحكيم» بالآية:**

ختم الله عز وجل هذه الآية بالاسمين الكريمين «العزيز» و«الحكيم» وقد مرّا في الموضع الثاني عشر من هذه السورة[(١)].

وصلتهما بالآية: حيث بَيَّن الله عز وجل فيها أن التحذير من أكل أموال اليتامى ظلمًا الوارد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًاۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[(٢)] لا يدخل فيه إصلاح أموال اليتامى بحفظها، وصيانتها، والاتجار فيها، وإن اختلطت في طعام أو غيره، فذلك جائز مع صحة المقصد، وعدم الإضرار بهم؛ لأنهم إخوانكم، ومن شأن الأخ مخالطة أخيه، والمرجع في ذلك إلى النية والعمل.

وأعلمهم عز وجل أنه يعلم المفسد لمال اليتيم من المصلح له، وأنه لو شاء لضيق عليكم بالإبقاء على عزل أموال اليتامى عن أموالكم، ولكنه نظر إلى المصلحتين: مصلحة اليتيم، ومصلحة التيسير ودفع الحرج.

---

(١) انظر: ص٣٠.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٠.



فكما أنه عز وجل العزيز الغالب القادر على أن يُعَنِّتَ عباده ويحرجهم ويشق عليهم، فهو الحكيم الذي يضع الأمور في مواضعها، ولا يكلف إلا ما فيه الطاقة، ولا يفعل إلا ما هو مقتضى حكمته وعنايته، فعزته لا تنافي حكمته جل وعلا[١].

* * *

---

(١) انظر: الكشاف، ج١ ص٣٦٠، وتفسير السعدي، ج١ ص٢٧٤.

٢٨ ـ قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الآية: ٢٢٤].

● صلة الاسمين «السميع» و«العليم» بالآية:

ختم الله عز وجل هذه الآية بالاسمين الكريمين «السميع» و«العليم» وقد مر معناهما في الموضع العاشر من هذه السورة(١).

وصلتهما بالآية: حيث نهى الله عز وجل فيها عباده المؤمنين أن يجعلوا الحَلِف مانعًا من فعل الخير: من صلة رحم أو صدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ونحو ذلك، فلا يكون الحلف بالله مانعًا من المحلوف عليه من بر وتقوى وإصلاح بين الناس، فإنه عز وجل سميع لما يقوله الحالف، عليم بقصده ونيته بحلفه هل هو لخير أو شر؟

قال أبوحيان: «ختم هذه الآية بهاتين الصفتين: لأنه تقدم ما يتعلق بهما، فالذي يتعلق بالسمع: الحلف؛ لأنه من المسموعات. والذي يتعلق بالعلم: هو إرادة البر والتقوى والإصلاح، إذ هو شيء محله القلب، فهو من المعلومات. فجاءت هاتان الصفتان منتظمتين للعلة والمعلول، وجاءتا على ترتيب ما سبق من تقديم السمع على العلم، كما قدم الحلف على الإرادة»(٢).

---

(١) انظر: ص ٢٧.
(٢) البحر المحيط، ج١ ص١٧٩.



٢٩ ـ قال الله تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ٢٢٥﴾ [الآية: ٢٢٥].

● **معنى الاسمين «الغفور» و«الحليم» في حق الله تعالى:**

ختم الله عز وجل هذه الآية بالاسمين الكريمين «الغفور» و«الحليم». وقد سبق بيان معنى «الغفور» في الموضع التاسع عشر من هذه السورة[١].

أما الحليم فهو ذو الأناة الذي لا يَعْجَلُ على عباده بعقوبتهم على ذنوبهم، ولا يَستخِفُّه شيء من عصيان العباد، ولا يستفزُّه الغضب عليهم، ولكنه جعل لكل شيء مقدارًا فهو منتهٍ إليه[٢].

قال السعدي: «الحليم الذي يَدِرُّ على خلقه النعم الظاهرة والباطنة، مع معاصيهم وكثرة زلاتهم، فيحلم عن مقابلة العاصين بعصيانهم، ويستعتبهم كي يتوبوا، ويُمهلهم كي ينيبوا»[٣].

● **صلة الاسمين بالآية:**

بين الله عز وجل في هذه الآية عدم مؤاخذته لما يجري على الألسنة من الأيمان اللاغية التي تقع في حشو الكلام دون أن يقصد بها عقد اليمين، إنما المؤاخذة على ما قصده القلب إذا حنث العاقد. وفي

---

(١) انظر: ص ٤٣.
(٢) انظر: جامع البيان، ج٥ ص١١٧، والنهاية في غريب الحديث، ج١ ص٤٣٣ـ٤٣٤.
(٣) تفسير السعدي، ج٥ ص٦٣٠.

هذا توسعة من الله على عباده فهو الغفور لهم فيما لغوا من أيمانهم، مع كونه ناشئًا من عدم التثبت وقلة المبالاة، الحليم في تركه معاجلتهم بالعقوبة، فلم يكلفهم مايشق عليهم مما لم تقصده قلوبهم[١].

● **الحكمة في اقتران الاسمين ببعضهما:**

اقترن الاسمان الغفور والحليم في القرآن الكريم في ستة مواضع، والحكمة - والله أعلم - في اقترانهما؛ لأن المذكور في الآية مغفرةٌ لذنب هو من قبيل التقصير في الأدب مع الله تعالى؛ فلذلك وصف الله نفسه بالحليم؛ لأن الحليم هو الذي لا يستفزه التقصير في جانبه، ولا يغضب للغفلة، ويقبل المعذرة[٢].

❊ ❊ ❊

---

(١) انظر: جامع البيان، ج٤ ص٤٥٥، وتفسير أبي السعود، ج١ ص٣٤٩، وتفسير السعدي، ج١ ص٢٨٠.

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ج٢ ص٣٨٤.

٣٠ - قال الله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ ﴾ [الآية: ٢٢٦].

● صلة الاسمين «الغفور» و«الرحيم» بالآية:

ختم الله عز وجل هذه الآية بالاسمين الكريمين «الغفور» و«الرحيم»، وقد مر معناهما في الموضع التاسع عشر من هذه السورة[١].

وصلتهما بالآية: حيث بين الله عز وجل فيها يمينًا من نوع خاص هو يمين الإيلاء: بأن يحلف الزوج أن لا يقرب زوجته، فأخبر الله بأن على المُولي أن ينتظر مدة أربعة أشهر دون أن يطالَب بالرجوع إلى زوجته أو بالطلاق، فإن فاء إلى امرأته بأن رجع إلى وطئها خلال المدة فإن الله عز وجل يغفر له ما كان من الحنث في يمينه بسبب رجوعه، رحيم به وبغيره من المؤمنين حيث جعل لأيمانهم كفارة وتَحِلَّةً، ولم يجعلها لازمة لهم.

قال ابن القيم: «فختم حكم الفيء الذي: هو الرجوع، والعود إلى رضا الزوجة، والإحسان إليها، بأنه غفور رحيم، يعود على عبده بمغفرته ورحمته إذا رجع إليه، والجزاء من جنس العمل»[٢].

---

(١) انظر: ص ٤٣.

(٢) جلاء الأفهام ص١٧٣.



٣١ ـ قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الآية: ٢٢٧].

● **صلة الاسمين «السميع» و«العليم» بالآية:**

ختم الله عز وجل هذه الآية بالاسمين الكريمين «السميع» و«العليم»، وقد مرّ معناهما في الموضع العاشر من هذه السورة(١).

وصلتهما بالآية: حيث بَيَّنَ الله عز وجل فيها أن من امتنع من الفَيْئة إلى زوجته ورغب عنها، فإن ذلك عزم منه على الطلاق، فإن حصل منه وإلا أجبره الحاكم عليه، فالله سميع لإيلائه وطلاقه إن طلق، عليم بنيته، وبما ارتكبه، مما يحل له ويحرم عليه(٢).

قال ابن القيم: «فإن الطلاق لما كان لفظًا يسمع ومعنى يقصد عَقَّبه باسم «السميع» للنطق به، «العليم» بمضمونه»(٣).

ويلاحظ في هذه الآية والآية السابقة أن الله عز وجل فضل الفيئة على الطلاق، إذْ جعل جزاء الفيئة: المغفرة والرحمة. وتوعد في حال الطلاق بأنه سميع لأقوالهم، عليهم بنواياهم وأفعالهم.

---

(١) انظر: ص ٢٧.

(٢) انظر: جامع البيان، ج٤ ص٤٩٩.

(٣) جلاء الأفهام ص١٧٣.

٣٢ ـ قال الله تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الآية: ٢٢٨].

● **صلة الاسمين «العزيز» و«الحكيم» بالآية:**

ختم الله عز وجل هذه الآية بالاسمين الكريمين «العزيز» و«الحكيم»، وقد مرّ معناهما في الموضع الثاني عشر من هذه السورة[١].

وصلتهما بهذه الآية: حيث بَيّن فيها بعض أحكام الطلاق. فذكر حكم المطلقة التي تحيض بأن عليها أن تنتظر وتعتد مدة ثلاثة قروء، فلا تعرض نفسها للزواج خلالها، كما أن عليها أن لا تكتم الحمل أو الحيض إن كانت تؤمن بالله واليوم الآخر، ثم بين أن مدة الانتظار من حق الزوج الأصلي، بشرط أن يقصد إصلاح ذات البين وحسن المعاشرة وعدم المضارّة بها، ثم وضح أن للزوجة من الحقوق على زوجها مثل ما للزوج عليها من حقوق، ومرجع هذه الحقوق إلى المعروف، كما أن للزوج أيضًا على الزوجة درجة وزيادة حق عليها وهي القِوامة، والإنفاق، والإمرة، ووجوب الطاعة، فهي درجة تكليف وتشريف.

---

(١) انظر: ص ٣٠.

وما في هذه الآية من أوامر وتكليفات وتعليمات، عليكم بالالتزام بها وعدم مخالفتها، فإن الله عزيز في انتقامه ممن خالف أمره وتعدى حدوده.

حكيم فيما دبر في خلقه، وفيما حكم وقضى بينهم من أحكامه[١].

ومن لم يرض بهذا يكن منازعًا لله في عزته وسلطانه، ومنكرًا لحكمته في أحكامه.

فالعزيز الغالب يحب أن يطاع، والحكيم يجب أن يسلم له في شرعه، لأنه صالح نافع غير ضار.

قال أبوحيان: «وختم الآية بهما؛ لأنه تضمنت الآية: ما معناه الأمر في قوله ﴿يتربصن﴾. والنهي في قوله ﴿ولا يحل لهن﴾. والجواز في قوله: ﴿وبعولتهن أحق﴾. والوجوب في قوله: ﴿ولهن مثل الذي عليهن﴾، ناسب وصفه تعالى بالعزة وهو القهر والغلبة، وهي تناسب التكليف. وناسب وصفه بالحكمة وهي إتقان الأشياء ووضعها على ما ينبغي، وهي تناسب التكليف أيضًا»[٢].

---

(١) انظر: جامع البيان، ج٤ ص٥٣٧.
(٢) البحر المحيط، ج١ ص١٩١.



٣٣ ـ قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُواْۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًاۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الآية: ٢٣١].

● **صلة الاسم «العليم» بالآية:**

ختم الله عز وجل هذه الآية باسمه «العليم»، وقد مرّ معناه في الموضع الثاني من هذه السورة[١].

وصلته بهذه الآية: حيث بَيَّن فيها ما يجب في معاملة المطلقات وولاية التزويج، فأمر الله عباده إذا طلق أحدهم زوجته، وقاربت إتمام العدة فعليه: إما إمساكها بالمراجعة، أو تركها حتى تنقضي عدتها ويسرحها بمعروف. ولا يجوز له إذا أمسكها أن يضرّ بها حتى تضطر إلى المخالعة فتفدي نفسَها بمالٍ تدفعه له، فمن يفعل هذا الفعل فقد ظلم نفسه في الدنيا والآخرة.

ثم نهى عزوجل المؤمنين عن اتخاذ الآيات والأحكام هزوًا بالتلاعب بها وعدم تنفيذها، وأن عليهم تذكر نعمة الله عليهم: بهدايتهم للإسلام، وإنزال القرآن والسنة، وما فيهما من أحكام وحِكَم تشريعية مما فيه مصلحة ومنفعة لهم، وأن عليهم تقوى الله بامتثال أمره واجتناب نهيه.

---

(١) انظر: ص ١٣.

كما عليهم أن يعلموا أن الذي حَدَّ لهم هذه الحدود، وشَرَّع لهم هذه الشرائع، عالم بكل شيء، وبجميع أعمالهم ظاهرها وخفيها، سرها وجهرها، فيجازيهم على ما عملوا من خير أو شر[١].

* * *

(١) انظر جامع البيان، ج٥ ص١٦، وتفسير ابن كثير، ج١ ص٢٨١.

٣٤ ـ قال الله تعالى: ﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الآية: ٢٣٣].

● **صلة الاسم «البصير» بالآية:**

ختم الله عز وجل هذه الآية باسمه «البصير»، وقد مرّ بيانه في الموضع الثامن من هذه السورة[١].

وصلته بالآية: حيث بين فيها أحكام الرضاعة، وتربية الأولاد بطريق التشاور والتراضي بين الوالدين، فأوصى الوالدات المطلقات بأن عليهن أن يرضعن أولادهن سنتين كاملتين: إذا شاء الوالدان إتمام الرضاعة، ويُلزَم الآباء بكسوة الوالدات ونفقتهن مدة الرضاع بقدر سعتهم وطاقتهم، ثم نهى عن مضارة أحد الوالدين بالآخر بسبب الولد، وأن على وارث الأب ـ إذا عدم الأب، وكان الطفل ليس له مال ـ مثل ما على والد الطفل من الإنفاق على الأم والقيام بحقوقها وعدم الإضرار بها[٢].

ثم ذكر الله عز وجل رخصتين في الإرضاع:

---

(١) انظر: ص ٢٣.
(٢) انظر: جامع البيان، ج٥ ص٦٥.

الأولى: إذا أراد الأبوان فطام الولد قبل انتهاء السنتين فإن لهما ذلك بعد التشاور وتقدير مصلحة الولد.

الثانية: إذا أراد الوالد أن يسترضع لولده غير أمه فله ذلك إن طابت به نفس الأم، على أن يسلم الأجرة المتفق عليها بالمعروف.

ثم ختم الله عز وجل هذه الأحكام بأمرين:

الأول: أن عليكم بتنفيذها في ظل تقوى الله عز وجل وخشيته، وعدم التفريط في شيء منها.

والثاني: أن عليكم أن تعلموا أن الله بصير بأعمالكم سرها وعلانيتها، خيرها وشرها، لا يخفى عليه شيء منها، فهو يحصي ذلك كله حتى يجازيكم عليه ومن ضمن ذلك ما ذكره في هذه الآية من أحكام[١].

قال أبوحيان: «ولما كان كثير من أحكام هذه الآية متعلقًا بأمر الأطفال الذين لا قدرة لهم ولا منعة مما يفعل بهم، حذّر وهدّد بقوله: ﴿واعلموا﴾ وأتى بالصفة التي هي بصير مبالغة في الإحاطة بما يفعلونه معهم والاطلاع عليه»[٢].

---

(١) انظر: جامع البيان، ج٥ ص٧٦.

(٢) البحر المحيط، ج١ ص٢١٩.



٣٥ ـ قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الآية: ٢٣٤].

● **معنى «الخبير» في حق الله تعالى:**

ختم الله عز وجل هذه الآية باسمه «الخبير»، ومعناه: أي العالم بما كان وبما يكون، العالم بأمور العباد لا يخفى عنه شيء منها.

قال الغزالي[١] في الفرق بينه وبين العلم: «وهو بمعنى العليم، لكن العلم إذا أضيف إلى الخفايا الباطنة سُمي خِبْرةً، وسمي صاحبها خبيرًا»[٢].

وقال السعدي: «الخبير» وهو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإسرار والإعلان، وبالواجبات والمستحيلات والممكنات، وبالعالم العلوي والسفلي، وبالماضي والحاضر والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء»[٣].

● **صلة الاسم بالآية:**

ذكر الله عز وجل في هذه الآية عدة المتوفى عنها زوجها وأنها

---

(١) الغزالي: هو أبوحامد محمد بن محمد بن محمد الطوسي الشافعي، متكلم، أصولي، صوفي، له «إحياء علوم الدين» و«المستصفى في أصول الفقه»، توفي سنة ٥٠٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ج١٩ ص٣٢٢، ومعجم المؤلفين، ج١١ ص٢٦٦.

(٢) المقصد الأسنى ص٧٦.

(٣) تفسير السعدي، ج٥ ص٦٢١.

أربعة أشهر وعشرة أيام، وأنه بعد انتهاء هذه المدة لا جناح على ذوي زوجها ولا على ذويها فيما تفعل في نفسها من ترك الإحداد والتعرض للخُطَّاب للتزوج بما هو مباح لهن على الوجه المعروف شرعًا. ثم بيَّن عز وجل أنه عالم بأعمالكم ظاهرها وباطنها، جليها وخفيها، وبمن يتساهل ويفرط في تنفيذ الأحكام الشرعية، فاعملوا بما أمركم به ولا تخالفوا أمر العليم الخبير الذي لا تخفى عليه خافية[١].

❊ ❊ ❊

(١) انظر جامع البيان، ج٥ ص٩٤، وتفسير السعدي، ج١ ص٢٩٥.

٣٦ - قال الله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [الآية: ٢٣٥].

● صلة الاسمين «الغفور» و«الحليم» بالآية:

ختم الله عز وجل هذه الآية بالاسمين الكريمين «الغفور» و«الحليم»، وقد مرّ معناهما في الموضع التاسع والعشرين من هذه السورة[١].

وصلتهما بالآية: حيث بَيَّن الله عز وجل فيها جواز خِطبة معتدة الوفاة تلميحًا لا تصريحًا، وأن الإضمار في قصد الزواج لا حرج فيه أيضًا؛ لأنه يشق عليكم كتمان رغبتكم، إنما المُحَرَّم هو المواعدة على الزواج في السر دون المواعدة بقول معروف لا يُستحا منه في الجهر، ثم بين عز وجل وقت إباحة عقد الزواج على المعتدة وهو ما بعد انقضاء العدة، وحذر عز وجل من تجاوز هذا الحد، وأنه يعلم ما في الضمائر من العزم على ما لا يجوز، وأنه لا يخفى عليه شيء من أعمالهم وتصرفاتهم، فالحذر من تجاوز أحكامه ومخالفة أوامره ونواهيه. ومع ذلك فإن الله عز وجل غفور لمن تعدى حدود الله،

---

(١) انظر: ص ٥٦.

وفرط بارتكاب الذنب.

ومن ذلك ما تكنه نفوس الرجال من خطبة المعتدات، وذكرهنَّ في حال عددهن، وفي غير ذلك من خطاياهم.

وهو عز وجل الحليم الذي لا يعاجل عباده بالعقوبة على ذنوبهم بل يمهلهم حتى يصلحوا حالهم ويتمكنوا من التوبة(١).

قال أبوحيان: «أردف ذلك بالصفتين الجليلتين؛ ليزيل عنهم بعض روع التهديد والوعيد، والتحذير من عقابه، ليعتدل قلب المؤمن في الرجاء والخوف.

وختم بهاتين الصفتين المقتضيتين المبالغة في الغفران والحِلم، ليقوي رجاء المؤمن في إحسان الله تعالى، وطمعه في غفرانه وحلمه إن زلّ وهفا»(٢).

وذهب ابن عاشور(٣) إلى أن المغفرة في الآية تعود إلى ما رخص به الله تعالى من التعريض ونحوه فقال: «أي: فكما يؤاخذكم على ما تضمرون من المخالفة، يغفر لكم ما وعد بالمغفرة عنه كالتعريض؛ لأنه حليم بكم»(٤).

---

(١) انظر: جامع البيان، ج٥ ص١١٧، والجامع لأحكام القرآن، ج٣ ص١٨٧.

(٢) البحر المحيط، ج١ ص٢٣٠.

(٣) ابن عاشور: هو محمد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتين المالكيين بتونس، ومن أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة له: «التحرير والتنوير» و«مقاصد الشريعة الإسلامية» توفي سنة ١٣٩٣هـ.

انظر: الأعلام ج٦ ص١٧٤، ومعجم المؤلفين ج١٠ ص١٠١.

(٤) التحرير والتنوير، ج٢ ص٤٥٦.

٣٧ ـ قال الله تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الآية: ٢٣٧].

● **صلة الاسم «البصير» بالآية:**

ختم الله عز وجل هذه الآية باسمه الكريم «البصير»، وقد مرّ في الموضع الثامن من هذه السورة[١].

وصلته بهذه الآية: حيث بَيّن عز وجل أن من طلّق امرأته قبل الدخول بها، وقد سمَّى لها المهر، فإن عليه أن يعطيها ـ وجوبًا ـ نصفَه، إلا أن تعفو عنه المطَلَّقة فلا تأخذه تكرمًا منها، أو يعفو الزوج المطلِّق فيتنازل عن النصف، فيعطيها إياه كاملاً. ثم دعا عز وجل الزوجين إلى العفو، وأن من عفا منهما كان أقرب للتقوى، ونهاهم عن نسيان المودة والإحسان بينهما. فهو عز وجل بصير بأعمالهم، فيجازي كلاً على حسب نيته وعمله، ترغيبًا منه في العفو والفضل.

قال أبوحيان: «ختم هذه الآية بهذه الصفة الدالة على المبصرات لأن ما تقدمه من العفو من المطلّقات والمطلّقين وهو: أن يدفع شطر ما قبضن، أو يكملون لهن الصداق، هو مشاهد مرئي، فناسب ذلك المجيء بالصفة المتعلقة بالمبصرات»[٢].

---

(١) انظر: ص ٢٣.

(٢) البحر المحيط، ج١ ص٢٣٨.



٣٨ - قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الآية: ٢٤٠].

● صلة الاسمين «العزيز» و«الحكيم» بالآية:

ختم الله عز وجل هذه الآية بالاسمين الكريمين «العزيز» و«الحكيم»، وقد مرّا في الموضع الثاني عشر من هذه السورة(١).

وصلتهما بهذه الآية: حيث بَيَّن الله عز وجل فيها أن الذين يتوفون من المؤمنين ويذرون أزواجًا، فإن لهن وصية من الله تعالى لأهل الميت، وهي أن يُبقوا زوجة ميتهم عندهم في البيت حولاً كاملاً، بما فيها مدة العدة وهي: أربعة أشهر وعشر ليال؛ وذلك جبرًا لخاطرها، وبرًا بميتهم. إلا إذا رغبت في الخروج بعد انقضاء العدة فلا حرج عليها، على أن يكون بالمعروف، الذي لا يخرجها عن حدود الدين والشرع(٢).

---

(١) انظر: ص ٣٠.

(٢) اشتهر عند كثير من المفسرين أن هذه الآية نسختها الآية التي قبلها وهي قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٣٤] والظاهر أنه لا نسخ فيها فالآية الأولى ٢٣٤، في وجوب التربص أربعة أشهر وعشرًا. أما في هذه الآية ٢٤٠ فإن الزوجة تتربص المدة المذكورة في الآية الأولى، وبقية السنة، وصية من الله لأهل الميت بالسماح لها بالبقاء، إن شاءت سكنت، وإن شاءت خرجت، ويدل على ذلك قوله تعالى بعد ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ وبه قال مجاهد.

انظر قوله في تفسير ابن جرير الطبري، ج٥ ص٢٥٨، وتفسير السعدي، ج١ ص٣٠٠.



ثم ختمها بالاسمين الكريمين «العزيز» الدال على كمال العزة والقهر والغلبة لمن خالف أمره ونهيه وتعدى حدوده من الرجال والنساء، بأنْ منع من إنفاذ الوصية بالتمتيع المذكور، أو أخرجهنّ وهنّ لا يخترن الخروج.

وفيه أيضًا إشعار بالوعيد على ذلك، وأن هذه الأحكام متعينة التحقيق والتنفيذ.

وختم بـ «الحكيم»: الدال على كمال الحكمة، وأن ما شرع من أحكام فهو جار على الحكمة والإتقان، ووضع الأشياء مواضعها اللائقة بها[١].

* * *

(١) انظر: تفسير ابن جرير الطبري، ج٥ ص٢٦١-٢٦٢، والبحر المحيط، ج٢ ص٢٤٦.

٣٩ ـ قال الله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الآية: ٢٤٤].

● **صلة الاسمين «السميع» و«العليم» بالآية:**

ختم الله عز وجل هذه الآية بالاسمين الكريمين «السميع» و«العليم»، وقد مرّ بيانهما في الموضع العاشر من هذه السورة[١].

وصلتهما بالآية: حيث أمر فيها بالقتال في سبيل الله، بعد أن بين أن الحذر من الموت لا يفيد، وأن الفزع والهلع لا يزيدان الحياة، ولا يردان القضاء، فلا يقعدكم حب الحياة وحذر الموت عن القتال في سبيل الله، فالله عز وجل سميع لما يقوله المتخلفون عن القتال، عليم بما انطوت عليه نياتهم من قتالٍ للحَمِيَّة أو نيل عَرَضٍ من الدنيا.

وفي ختم الآية بهذين الاسمين فائدة أخرى وهي أن المجاهد في سبيل الله إذا علم أن الله سميع عليم هان عليه القتال وعلم أن الله يعينه، وأن ما يتحمله المتحملون من أجله لابد أن يُمِدَّهم بعونه ولطفه[٢].

● **مناسبة تقديم «سميع» على «عليم»:**

قدم عز وجل في هذه الآية «سميع» مع أنه أخص من «عليم»؛ لأن الموضع هنا ـ والله أعلم ـ في بيان أحوال القتال في سبيل الله وهو

---

(١) انظر: ص ٢٧.

(٢) انظر: تفسير السعدي، ج١ ص٣٠٣.



من الأمور المسموعة مثل: جلبة الجيش، وقعقعة السلاح، وأعقب ذلك بالعلم؛ لأنه يعم جميع المعلومات ومنها ما تبطنه النفس من تسويل النفس القعود، وعدم الإنفاق، والجُبْن عن القتال، وفي هذا تعريض بالوعد والوعيد[١].

❊ ❊ ❊

(١) انظر: التحرير والتنوير، ج٢ ص٤٨٠.

٤٠ ـ **قال الله تعالى:** ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [الآية: ٢٤٧].

● **صلة الاسمين «الواسع» و«العليم» بالآية:**

ختم الله عزوجل هذه الآية بالاسمين الكريمين «الواسع» و«العليم»، وقد مرّ بيانهما في الموضع التاسع من هذه السورة[١].

وصلتهما بالآية: أن الله عز وجل بَيَّن فيها وفي التي قبلها، أن الملأ من بني إسرائيل اتفقوا على أن يطلبوا من نبيهم أن يعيِّن لهم ملكًا ليقاتلوا معه الأعداء في سبيل الله، ولكنه خشي أن يستجيب لطلبهم ويُفْرض عليهم القتال، ثم يجبنوا عن لقاء عدوهم، إلا أنهم أكدوا له طلبهم، وأن القتال متعين عليهم؛ لأنه الوسيلة لاسترجاع ديارهم، فاستجاب النبي لطلبهم فعَيَّن لهم طالوت ملكًا، ليكونوا تحت قيادته وإمرته. ولكنهم اعترضوا على هذا التعيين؛ لأنه يوجد ـ بزعمهم ـ من هو أحق من طالوت بيتًا وأكثر مالاً، فأجابهم نبيهم: إن الله اختاره عليكم بما آتاه الله من سعة العلم وقوة الجسم، والله لا يختار إلا ما فيه الخير لكم، فما ادعوه من أنهم أهل للملك، وأنهم الأغنياء، وأن

---

(١) انظر: ص ٢٥.



طالوت ليس من بيت المُلك غير مُسَلَّم؛ لأن الله يؤتي ملكه من يشاء، وهو الواسع الفضل، يوسع على من يشاء ويغنيه بعد فقر، وهو الواسع التصرف والقدرة، لا حدّ لسعة تصرفه وقدرته، العليم بمن هو أحق بالملك، وبما يحقق المصلحة والحكمة، وبما يؤدي إلى الفوز والنصر(١).

* * *

(١) انظر: تفسير الطبري، ج٥ ص٣١٤، والبحر المحيط، ج٢ ص٢٥٩، وتفسير أبي السعود، ج١ ص٣٧٢.

٤١ ـ قال الله تعالى: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [الآية: ٢٥٥].

● **معنى «العلي» و«العظيم» في حق الله تعالى:**

ختم الله عز وجل هذه الآية بالاسمين الكريمين «العلي» و«العظيم»:

فالعليُّ: هو الذي له العلو المطلق من جميع الوجوه:

ـ علو الذات، فهو الذي على العرش استوى، وأنه عالٍ على كل شيء، وفوق كل شيء، ولا شيء فوقه.

ـ وعلو القدر والمنزلة والصفات، فهو الذي اتصف بجميع صفات العظمة والكبرياء والجلال والجمال وغاية الكمال.

ـ وعلو القهر، فهو الذي كل شيء تحت قهره وسلطانه لا إله إلا هو ولا رب سواه(١).

والعظيم: هو ذو العظمة والجلال في ذاته، وفي ملكه وسلطانه، وفي أسمائه وصفاته كلها، فهو عظيم في كبريائه وجلاله وجبروته

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير الطبري، ج٥ ص٤٠٦، ومعالم التنزيل للبغوي، ج٣ ص٢٩٦، وتفسير ابن كثير، ج٣ ص٢٣٢، وتفسير السعدي، ج٥ ص٦٢٣.



وقدرته وسمعه وبصره وعلمه.. وهو العظيم الذي لا أعظم منه كما أنه العلي الذي لا أعلى منه، تعالى وتقدَّس وتنزه عما يقول الظالمون المعتدون علوًا كبيرًا[١].

● صلة الاسمين بالآية:

هذه الآية هي آية الكرسي، أعظم آية في القرآن الكريم، كلها ناطقة بربوبية الله تعالى وألوهيته وأسمائه وصفاته، الدالة على كمال ذاته وعلمه وقدرته وعظيم سلطانه، ذُكر فيها اسمُ الله تعالى بين مضمر وظاهر ثمان عشرة مرة. وختمت باسميه الكريمين «العلي» و«العظيم» لبيان علو الله المطلق بذاته، وعلى جميع مخلوقاته، وبأسمائه وصفاته.

وبكونه العظيم الجامع لجميع صفات العظمة والكبرياء، والمجد والبهاء، الذي تحبه القلوب، وتعظمه الأرواح، وأن عظمة كل شيء مضمحلة في جانب عظمة العلي العظيم[٢].

---

(١) انظر: اشتقاق أسماء الله الحسنى ص١١١، وتفسير ابن كثير، ج٣ ص٢٣٢. وعمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي مادة «عظم» ص٣٧٠، وتفسير الخازن، ج١ ص٢٧١

(٢) انظر تفسير السعدي، ج١ ص٣١٥.



٤٢ ـ قال الله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الآية: ٢٥٦].

● صلة الاسمين «السميع» و«العليم» بالآية:

ختم الله عز وجل هذه الآية بالاسمين الكريمين «السميع» و«العليم»، وقد مرّ بيانهما في الموضع العاشر من هذه السورة(١).

وصلتهما بهذه الآية: حيث بين فيها كمال الدين الإسلامي وأنه لا يحتاج إلى الإكراه عليه، لوضوح الحق من الباطل والهدى من الضلال؛ وعليه فإن من يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك من الدين بأقوى سبب وأوثقه، ومن يصر على الكفر بالله والإيمان بالطاغوت فقد استمسك بأوهى من خيط العنكبوت.

وختمها ببيان أن الله سميع لأقوال من يؤمن بالله ويكفر بالطاغوت، ومن يَدّعي الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، عليم بنياتهم وما أخفته أنفسهم فيجازي كلَّ أحد بحسب ما نطق به لسانه وأضمرته نفسه(٢).

قال أبوحيان: «أتى بهذين الوصفين؛ لأن الكفر بالطاغوت والإيمان بالله مما ينطق به اللسان ويعتقده الجنان، فناسب هذا ذكر هذين الوصفين»(٣).

---

(١) انظر: ص ٢٧.

(٢) انظر: تفسير ابن جرير الطبري، ج٥ ص٤٢٣، ٤٢٤.

(٣) البحر المحيط، ج٢ ص٢٨٣.

٤٣ ـ قال الله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية: ٢٥٩].

● **صلة الاسم «القدير» بالآية:**

ختم الله عز وجل هذه الآية باسمه الكريم «القدير»، وقد مرّ بيانه في الموضع الأول من هذه السورة(١).

وصلته بالآية: حيث بَيَّن الله عز وجل فيها مثلاً دالاً على كمال قدرته على البعث والجزاء، وخلاصته: أن رجلاً مَرّ على قرية قد خوت على عروشها، بأن مات أهلها وخربت عمارتها، فقال: كيف يحيى الله هذه القرية وهي في هذه الحال؟ فأماته الله مائة عام، وكان معه حمار فأماته معه، ومعه طعام وشراب. فلما مضت الأعوام المائة بعثه الله وسأله: (كم لبثت؟ قال: لبثت يومًا أو بعض يوم) وذلك بحسب عادة النائم. فقال له: (بل لبثت مائة عام) ولكي تقتنع بذلك انظر إلى طعامك وشرابك، فإنه لم يتغير طول هذه المدة، وانظر إلى حمارك فإنه هلك ولم يبق منه إلا عظام نخرة، وكيف نركب بعضها

---

(١) انظر: ص١١.



فوق بعض وأنت تنظر، ثم نكسوها لحمًا، ثم نعيد فيها الحياة.

وبعد أن رأى الآيات أيقن واعترف بقدرة الله تعالى قائلاً: (أعلم أن الله على كل شيء قدير) فناسب ذكر اسمه القدير في ختام هذه الآية للدلالة على قدرة الله تعالى على الإحياء والبعث.

❊ ❊ ❊

٤٤ ـ قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الآية: ٢٦٠].

- **صلة الاسمين «العزيز» و«الحكيم» بالآية:**

ختم الله عز وجل هذه الآية بالاسمين الكريمين «العزيز» و«الحكيم»، وقد مرّ بيانهما في الموضع الثاني عشر من هذه السورة(١).

وصلتهما بالآية: حيث بَيَّن فيها برهانًا آخر على إثبات البعث، إذ سأل إبراهيم ربه أن يريه طريقة الإحياء كيف تتم مع إيمانه بقدرة الله، فكان يريد أن يطمئن قلبه ويصل إلى درجة عين اليقين، فأجابه الله بأنْ أمره أن يأخذ أربعة طيور ويضمهن إليه، ويذبحهن، ويمزقهن، ثم يوزعهن على أربعة جبال، على كل جبل ربع الأجزاء المخلوطة، ففعل، ثم ناداهنّ فأتين مسرعات طائرات، فصار إبراهيم عليه السلام ينظر ويشاهد أثر قدرة الله العزيز الحكيم.

فهو العزيز: الغالب على أمره، الذي لا يعجزه شيء عما يريده. الحكيم: البالغ الحكمة في أفعاله، فليس بناء أفعاله على الأسباب العادية لعجزه عن إيجادها بطريق آخر خارق للعادات، بل لكونه متضمنًا للحكم والمصالح(٢).

---

(١) انظر: ص ٣٠.

(٢) انظر: تفسير أبي السعود، ج١ ص٣٩٩.

٤٥ ـ قال الله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [الآية: ٢٦١].

● **صلة الاسمين «الواسع» و«العليم» بالآية:**

ختم الله عزوجل هذه الآية بالاسمين الكريمين «الواسع» و«العليم»، وقد مرّ بيانهما في الموضع التاسع من هذه السورة[١].

وصلتهما بالآية: حيث حثَّ الله تعالى فيها على الإنفاق في سبيله وابتغاء مرضاته، وبين أن الحسنة تضاعف إلى سبعمائة ضعف وإلى أضعاف أكثر، فالله عز وجل لا ينحصر فضله، ولا يحد عطاؤه، فهو واسع الفضل والعطاء، لا يضيق عليه ما يتفضل من الزيادة. عليم بنية المنفق، ومقدار إنفاقه، وما يستحقه من مضاعفة الأجر والثواب[٢].

قال ابن القيم: «ختم الآية باسمين من أسمائه الحسنى مطابقين لسياقها وهما «الواسع» و«العليم» فلا يستبعد العبد هذه المضاعفة ولا يضيق عنها عطنه[٣]، فإن المُضاعِف واسع العطاء واسع الغنى واسع

---

(١) انظر: ص ٢٥.
(٢) انظر: البحر المحيط، ج٢ ص٣٠٦، وتفسير أبي السعود، ج١ ص٣٩٩.
(٣) العَطَن: مبرك الإبل، يقال: فلان واسع العطن، إذا كان رحب الذراع، وضيق العطن: ضيق الصدر والحيلة.
انظر: الصحاح مادة «عطن» ج٦ ص٢١٦٥.

الفضل، ومع ذلك فلا يظن أن سعة عطائه تقتضي حصولها لكل منفق، فإنه عليم بمن تصلح له هذه المضاعفة وهو أهل لها، ومن لا يستحقها ولا هو أهل لها، فإن كرمه وفضله تعالى لا يناقض حكمته بل يضع فضله مواضعه، لسعته ورحمته، ويمنعه من ليس من أهله بحكمته وعلمه»[١].

❊ ❊ ❊

(١) طريق الهجرتين ص٤٤٧، ٤٤٨.

٤٦ ـ قال الله تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ [الآية: ٢٦٣].

● **معنى «الغني» و«الحليم» في حق الله تعالى:**

ختم الله عزوجل هذه الآية بالاسمين الكريمين «الغني» و«الحليم». فالغني: هو الغني بذاته، الذي له الغنى التام المطلق من جميع الوجوه والاعتبارات، لكماله وكمال صفاته. فهو الغني الذي بيده خزائن السماوات والأرض وخزائن الدنيا والآخرة، وهو المستغني عن الخلق بقدرته وعزِّ سلطانه، والخلق فقراءُ إلى طَوْله وإحسانه[1].

أما الحليم فقد مَرَّ معناه في الموضع التاسع والعشرين من هذه السورة[2].

● **صلة الاسمين بالآية:**

ذكر الله عز وجل في هذه الآية أن من مراتب الإحسان في النفقة: الإحسان للسائل بالقول بجميع وجوهه: بالكلمة الطيبة عند إعطائه الصدقة، وبالاعتذار منه إذا لم يوافق عنده شيئًا، وبالصفح عنه عند إلحاحه، كل ذلك خير للسائل والمسؤول من صدقة يتبعها أذى وضرر، فالله عز وجل غني عن صدقة عباده، فيستطيع أن يرزق الجميع.

---

(١) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج ص٦٣، وتفسير السعدي، ج٥ ص٦٢٩.
(٢) انظر: ص٥٦.



حليم لا يعجل بعقوبة من يمنُّ بصدقته، أو يؤذي فيها السائل[١].

وفي ختم الآية بهذين الاسمين تسليةٌ للفقراء، وتعليقٌ لقلوبهم بالله الغني الحميد. وتهديدٌ للأغنياء بأن لا يغتروا بحلم الله وإمهاله إياهم، وعدم تعجيل العقوبة على كفرهم بنعمته تعالى، إذ من وهبهم المال فإنه يوشك أن يسلبه منهم[٢].

* * *

(١) انظر: تفسير ابن جرير الطبري، ج٥ ص٥٢٠، وتفسير أبي السعود، ج١ ص٤٠٠.
(٢) انظر: تفسير المراغي، ج٣ ص٣٣.

٤٧ ـ **قال الله تعالى:** ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الآية: ٢٦٥].

● **صلة الاسم «البصير» بالآية:**

ختم الله عز وجل هذه الآية باسمه الكريم «البصير»، وقد مرّ بيانه في الموضع الثامن من هذه السورة[١].

وصلته بالآية: حيث رغب عز وجل في النفقة التي يريد بها العبد مرضاة الله، وهو متحقق ومتيقن بمثوبة الله تعالى له على إنفاقه في سبيله فمثله كمثل البستان بمكان مرتفع من الأرض أصابه مطر غزير، فأخرجت ثمارها ضعفين، وإن لم يصبها المطر الغزير فيكفيها المطر الخفيف، فهي تنتج على كل حال، وهكذا حال المنفق لله وفي سبيله يجود بقدر سعته؛ فإن أصابه خير كثير أنفق كثيرًا، وإن أصابه قليل أنفق بقدر طاقته،فخيره دائم وبره لا ينقطع، ثم ختمها بقوله: ﴿والله بما تعملون بصير﴾ أي: إنه بصير بأعمالكم لا يخفى عليه منها شيء، فيعلم مَنِ المنفق منكم بالمن والأذى، والمنفق ابتغاء مرضاة الله فيجازي كلاً على عمله[٢].

---

(١) انظر: ص٢٣.
(٢) انظر: تفسير ابن جرير الطبري، ج٥ ص٥٤١.

٤٨ ـ **قال الله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [الآية: ٢٦٧].

● **معنى الاسمين «الغني» و«الحميد» في حق الله تعالى:**

ختم الله عز وجل هذه الآية بالاسمين الكريمين «الغني» و«الحميد»، وقد مرّ بيان «الغني» في الموضع السادس والأربعين من هذه السورة[١].

أما «الحميد»: فهو المحمود بكل لسان، وعلى كل حال، في السراء والضراء، والشدة والرخاء. وهو المحمود في جميع أفعاله وأقواله، وشرعه وقدره، لا إله إلا هو ولا رب سواه[٢].

قال السعدي: «الحميد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فله من الأسماء أحسنها، ومن الصفات أكملها، ومن الأفعال أتمها وأحسنها، فإن أفعاله دائرة بين الفضل والعدل»[٣]

● **صلة الاسمين بالآية:**

يبين الله عز وجل في هذه الآية صفة المال المُنْفَق، وهو أن

---

(١) انظر: ص٨٥.

(٢) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى ص٥٥، وشأن الدعاء ص٧٨، وتفسير ابن كثير، ج١ ص٣٢١.

(٣) تفسير السعدي، ج٥ ص٦٢٢.

يكون من جيد الأموال، وأن يقصدوا الطيِّب منها، ولا يقصدوا الخبيث. فهذا الخبيث لو أُعطِيتموه في حق لكم ما كنتم لتقبلوه إلا أن تتساهلوا وتتسامحوا في قبوله فتغضوا بصركم عن النظر في رداءته. فالله عز وجل طيب لا يقبل إلا طيبًا، وهو الغني عن جميع المخلوقين، وعن نفقات المنفقين، فلم يأمرهم بالإنفاق لحاجة به، وإنما أمرهم بذلك لنفعهم، ورحمةً منه لهم ليغني بها فقيرهم، ويقوي بها ضعيفهم، وليمتحنهم فيما ينفقون.

وهو الحميد المستحق للحمد على جميع أفعاله وأقواله وشرعه وقدره ونعمه الظاهرة والباطنة، ومن ذلك إنفاق الطيب مما أنعم به(١).

قال ابن القيم متحدثًا عن ختم الآية بهذين الاسمين: «فغناه وحمده يأبيان قبوله الرديء.

فإنَّ قابِل الرديء الخبيث: إما أن يقبله لحاجته إليه، وإما أن نفسه لا تأباه لعدم كمالها وشرفها، وأما الغني عنه الشريف القدر الكامل الأوصاف فإنه لا يقبله»(٢).

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير الطبري، ج٥ ص٥٧٠، وتفسير أبي السعود، ج١ ص٤٠٥، وتفسير السعدي، ج١ ص٣٣٠.
(٢) بدائع التفسير، ج١ ص٤٣٠.



٤٩ ـ قال الله تعالى: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾ [الآية: ٢٦٨].

● صلة الاسمين «الواسع» و«العليم» بالآية:

ختم الله عزوجل هذه الآية بالاسمين الكريمين «الواسع» و«العليم»، وقد مرّ بيانهما في الموضع التاسع من هذه السورة[١].

وصلتهما بهذه الآية: حيث بَيَّن فيها أن أسباب ما يفعله المنفق من تقديم الرديء دون الجيد، أو الإمساك وعدم الإنفاق، هو وسوسة الشيطان له بأن الإنفاق عاقبته الفقر، وأن عليه إنفاق ماله بالفحشاء، والبخل بها في طريق الخير، أما الله عز وجل فإنه يعد المنفقين مغفرة ذنوبهم، والرزق الواسع الحسن.

وختم الآية بأنه «واسع عليم» أي: واسع الرحمة والفضل على من أنفق، فيحقق ما وعدكم به من المغفرة وإخلاف ما تنفقون.

وهو عليم بإنفاقكم وصدقاتكم، يحصيها لكم فيجازيكم بها أحسن الجزاء، وعليم بما سيكون من المغفرة والفضل فلا احتمال للخلف في الوعد[٢].

قال ابن القيم: «وتأمل كيف ختم هذه الآية بهذين الاسمين «والله واسع عليم»، فإنه واسع العطاء، عليم بمن يستحق فضله، ومن يستحق عدله، فيعطي هذا بفضله، ويمنع هذا بعدله، وهو بكل شيء عليم»[٣].

---

(١) انظر: ص٢٥.

(٢) انظر: تفسير ابن جرير الطبري، ج٥ ص٥٧٥، وتفسير أبي السعود، ج١ ص٤٠٦.

(٣) بدائع التفسير، ج١ ص٤٣١.

٥٠ ـ قال الله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الآية: ٢٧١].

● **صلة الاسم «الخبير» بالآية:**

ختم الله عز وجل هذه الآية باسمه «الخبير»، وقد مرّ بيانه في الموضع الخامس والثلاثين من هذه السورة[١].

وصلته بالآية: حيث أخبر فيها أن إظهار المتصدق للصدقة نعم العمل؛ لما فيه من الأسوة الحسنة، وأن إخفاءه لها أفضل؛ لما في ذلك من البعد عن شبهة الرياء، وفيه دليل على قوة الإخلاص، ولإكرام الفقراء وعدم تعريضهم لمذلة التصدق عليهم.

ثم أخبر عز وجل بأنه يكفِّر عن المتصدقين سيئاتِهم.

وختم الآية بقوله: ﴿والله بما تعملون خبير﴾ أي: إنه عز وجل خبير بأعمالهم، ومنها صدقاتهم، فهو يعلمها، إن قدمتموها جهرًا أو سرًا، وفي هذا تطمين للمتصدقين بالحصول على أجور صدقاتهم، وسائر أعمالهم الصالحة، وفي التعبير باسمه الخبير ترغيب في الإسرار بالصدقات[٢].

قال أبوحيان: «ختم الله بهذه الصفة؛ لأنها تدل على العلم بما لطف من الأشياء وخفي، فناسب الإخفاء ختمها بالصفة المتعلقة بما خفي، والله أعلم»[٣].

---

(١) انظر: ص٦٦.

(٢) انظر: تفسير ابن جرير الطبري، ج٥ ص٥٨٦، وتفسير أبي السعود، ج١ ص٤٠٩.

(٣) البحر المحيط، ج٢ ص٣٢٦.

٥١ ـ قال الله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [الآية: ٢٧٣].

● **صلة الاسم «العليم» بالآية:**

ختم الله عز وجل هذه الآية باسمه الكريم «العليم»، وقد مرّ بيانه في الموضع الثاني من هذه السورة[١].

وصلته بالآية: حيث بين فيها أحق الناس بالصدقة فوصفهم بست صفات:

١ ـ الفقــر.
٢ ـ الإحصار في سبيل الله.
٣ ـ العجز عن الكسب والضرب في الأرض.
٤ ـ التعفف، والترفع عن الطمع عما في أيدي الناس.
٥ ـ السيما والقرائن المميزة لهم.
٦ ـ عدم السؤال أصلاً أو عدم الإلحاح فيه[٢].

ثم ختمها ببيان أنه ما من نفقة صغيرة أو كبيرة إلا ويعلمها الله، ولا يخفى عليه حسن النية، والإخلاص له في العمل، كما أنه عليم

---

(١) انظر: ص١٣.
(٢) انظر: بدائع التفسير، ج١ ص٤٣٣.

بالجهات التي ينفق عليها الإنسان والتي تؤثر في زيادة الثواب ونقصه[١].

وفي هذا الختام ترغيب في الإنفاق، وحث على التحري في المنفق عليهم، ولاسيما من اتصف بالصفات السابقة.

* * *

(١) انظر: تفسير المراغي، ج٣ ص٤٩، ٥٢.



٥٢ ـ **قال الله تعالى:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا ۚ فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ ۚ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ۚ وَلَا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا ۖ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الآية: ٢٨٢].

● **صلة الاسم «العليم» بالآية:**

ختم الله عز وجل هذه الآية باسمه الكريم «العليم»، وقد مرّ بيانه في الموضع الثاني من هذه السورة[١].

وهذه الآية هي آية الدين: أطول آية في القرآن، وأبسطها شرحًا، وأبينها أحكامًا.

وتضمنت أحكام حفظ المال وصونه من الضياع، ليتمكن الإنسان من الإنفاق في سبيل الله، ومن هذه الأحكام:

---

(١) انظر: ص١٣.

الأمر بكتابة الديون، وأن تكون الكتابة بين المتعاملين بالعدل، وأن يحتسب الكاتب الكتابة، وتكون بما علمه الله، وأن يُشهد على البيع، ومن يحق له الشهادة، والنهي عن الإضرار بالكاتب أو الشهيد، والتحذير من كتمان الشهادة أو الحيف والجوْر في الكتابة... إلى غير ذلك من الأحكام.

ثم ختم الآية بأنه «عليم» أي: عليم بكل شيء، فإذا شرع شيئًا من الأحكام فإنما يشرعه عن علم محيط بأسباب درء المفاسد وجلب المصالح، لمن اتبع شرعه وهُداه(١).

❊ ❊ ❊

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب ج٧ ص١١٦، ١٢٩، وتفسير المراغي، ج٣ ص٧٧.



٥٣ ـ قال الله تعالى: ﴿ ۞ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [الآية: ٢٨٣].

● **صلة الاسم «العليم» بالآية:**

ختم الله عز وجل هذه الآية باسمه الكريم «العليم»، وقد مرّ بيانه في الموضع الثاني من هذه السورة[١].

وصلته بالآية: حيث بَيَّن فيها أنه في حال سفركم، وتَعَذَّرَ عليكم كتابةُ البيوع أو المداينة بينكم؛ لعدم وجود كاتب، أو لم تجدوا أدوات الكتابة، فاستوثقوا برهنٍ تقبضونه في حال عدم ائتمانه والخوف منه. وأما إن أمن بعضكم بعضًا فلم تأخذوا رهنًا، فليدفع ذلك المؤتمَن الدين الذي عليه، وليتق الله في رعاية حقوق الأمانة.

ثم نهى عزوجل عن كتمان الشهادة، فإنَّ كتمانها إثم كبير يجعل القلب آثمًا.

ثم ختم الآية بقوله: ﴿والله بما تعملون عليم﴾ أي: إن الله عزوجل عليم بجميع أعمالكم، ومن ضمن ذلك علمه بشهاداتكم من أدائها والقيام بها، أو كتمانها عند الحاجة إليها، وكل ذلك يحصيه ليجازيكم عليه إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، على قدر استحقاقكم.

وفي الختام فائدة وهي التوعد الشديدة لكاتم الشهادة؛ لأن علمه عز وجل بها يترتب عليه المجازاة[٢].

---

(١) انظر: ص١٣.

(٢) انظر: تفسير ابن جرير الطبري ج٦ ص١٠٠، والبحر المحيط، ج٢ ص٣٥٨.

٥٤ ـ **قال الله تعالى:** ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية: ٢٨٤].

● **صلة الاسم «القدير» بالآية:**

ختم الله عز وجل هذه الآية باسمه الكريم «القدير»، وقد مرّ بيانه في الموضع الأول من هذه السورة[١].

وصلته بالآية: حيث أخبر عزوجل أن له ملك السماوات والأرض وما فيهن وما بينهن، وأنه المُطَّلع على ما يجري فيهن، لا تخفى عليه الظواهر ولا السرائر والضمائر، وأنه سيحاسب عباده على ما فعلوه وما أخفوه في صدورهم، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، ثم بعد الحساب: يغفر لمن يشاء من أهل الإيمان والتقوى، ويعذب من يشاء من أهل الشرك والمعاصي، فهو عزوجل صاحب الملك المطلق، والسلطة المطلقة في الحساب، والإدارة المطلقة في المغفرة والعذاب، وكل ذلك مقترن بالقدرة المطلقة على كل شيء[٢].

ولهذا ناسب أن يختمها بقوله: ﴿والله على كل شيء قدير﴾.

قال السعدي: «فمن تمام قدرته، محاسبة الخلائق، وإيصال ما يستحقونه من الثواب والعقاب»[٣].

والله تعالى أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) انظر: ص١١.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ج١ ص٣٣٧، والتفسير المنير، ج٣ ص١٢٧.
(٣) تفسير السعدي، ج١ ص٣٥١.



فهرس المصادر والمراجع

١ ـ **الأسماء والصفات**، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، نشر: مطبعة السعادة بمصر، الطبعة الأولى.

٢ ـ **الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى**، لأبي عبدالله القرطبي، مخطوط.

٣ ـ **اشتقاق أسماء الله الحسنى**، لأبي القاسم عبدالرحمن بن إسحاق الزجاجي، تحقيق: عبدالحسين (!) المبارك، نشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.

٤ ـ **الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد**، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تخريج: أحمد عصام الكاتب، نشر: دار الآفاق الجديدة، الطبعة الأولى سنة ١٤٠١هـ.

٥ ـ **الأعـلام**، لخير الدين الزركلي، نشر: دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة سنة ١٩٧٩م.

٦ ـ **أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة من غرائب آي التنزيل**، لمحمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، نشر: دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤١١هـ.

٧ ـ **البحر المحيط**، لأبي حيان الأندلسي، نشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٣هـ.

٨ ـ **بدائع التفسير** الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية، جمع: يسري



السيد محمد، نشر: دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى سنة ١٤١٤هـ.
٩ ـ **البداية والنهاية**، للحافظ ابن كثير، الطبعة الثانية، سنة ١٩٧٧م، نشر: مكتبة المعارف، بيروت.
١٠ ـ **البرهان في توجيه متشابه القرآن**، لمحمود بن حمزة الكرماني، تحقيق: عبدالقادر عطا، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦هـ.
١١ ـ **البرهان في علوم القرآن**، لبدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر: دار المعرفة، بيروت.
١٢ ـ **البيان في عد آي القرآن**، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، تحقيق: د. غانم قدوري، نشر: مركز المخطوطات والتراث بالكويت، الطبعة الأولى سنة ١٤١٤هـ.
١٣ ـ **التحرير والتنوير**، لمحمد الطاهر بن عاشور، نشر: الدار التونسية للنشر بتونس سنة ١٩٨٤م.
١٤ ـ **تفسير أبي السعود**، تحقيق: عبدالقادر عطا، نشر: مكتبة الرياض الحديثة.
١٥ ـ **تفسير أسماء الله الحسنىٰ** لأبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، تحقيق ونشر: أحمد يوسف الدقاق، الطبعة الأولى سنة ١٣٩٥هـ.
١٦ ـ **تفسير الخازن «لباب التأويل»** للخازن، طبع مصطفى البابي الحلبي بمصر، الطبعة الثانية سنة ١٣٧٥هـ.
١٧ ـ **تفسير القرآن العظيم**، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، نشر: دار المعرفة، بيروت سنة ١٣٨٨هـ.



١٨ ـ **تفسير المراغي**، لأحمد مصطفى المراغي، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٥م.

١٩ ـ **التفسير المنير**، **لوهبة الزحيلي**، نشر: دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤١١هـ.

٢٠ ـ **تهذيب اللغة**، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد علي النجار، نشر: الدار المصرية للتأليف والترجمة.

٢١ ـ **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان «تفسير السعدي»**، لعبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: محمد زهدي النجار، نشر المؤسسة السعيدية، الرياض.

٢٢ ـ **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، لابن جرير الطبري، تحقيق: محمود شاكر، تخريج: أحمد شاكر، نشر: دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية.

٢٣ ـ **الجامع لأحكام القرآن**، لأبي عبدالله مُحمد بن أحمد القرطبي، نشر: دار الكتاب العربي سنة ١٣٨٧هـ.

٢٤ ـ **جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام**، لابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبدالقادر الأرنؤوط، نشر: دار العروبة للنشر والتوزيع بالكويت، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٧هـ.

٢٥ ـ **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، لجلال الدين السيوطي، نشر: دار الفكر، بيروت سنة ١٤٠٣هـ.

٢٦ ـ **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، لشهاب الدين الآلوسي، نشر: إدارة الطباعة المنيرية.



٢٧ ـ **زاد المسير في علم التفسير**، لأبي الفرج ابن الجوزي، نشر: المكتب الإسلامي بدمشق، الطبعة الأولى.

٢٨ ـ **سنن الترمذي** «الجامع الصحيح» تحقيق: أحمد محمد شاكر، نشر: مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر، الطبعة الثانية سنة ١٣٩٨هـ.

٢٩ ـ **سير أعلام النبلاء، لمحمد بن أحمد الذهبي**، أشرف على تحقيق الكتاب: شعيب الأرنؤوط، وحققه جماعة من العلماء، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت.

٣٠ ـ **شأن الدعاء**، لأبي سليمان أحمد بن محمد الخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، نشر: دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤هـ.

٣١ ـ **الصحاح**، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٢هـ.

٣٢ ـ **طبقات المفسرين**، للداودي، تحقيق: علي محمد عمر، نشر: مكتبة وهبة بالقاهرة سنة ١٣٩٣هـ.

٣٣ ـ **طريق الهجرتين، وباب السعادتين**، لابن قيم الجوزية، إعداد: المكتب العالمي للبحوث، نشر: دار مكتبة الحياة، بيروت سنة ١٩٨٠هـ.

٣٤ ـ **طريق الوصول إلى العلم المأمول**، لعبدالرحمن بن ناصر السعدي، عناية: سمير الماضي ويوسف البكري، نشر: رمادي للنشر بالدمام، والمؤتمن للتوزيع بالرياض، الطبعة الأولى سنة ١٤١٦هـ.



٣٥ ـ **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، لأبي العباس أحمد بن يوسف السمين الحلبي، تحقيق: محمود محمد الدغيم، مصور عن نسخة خطية، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧هـ.

٣٦ ـ **غرائب التفسير وعجائب التأويل**، محمود بن حمزة الكرماني، تحقيق: د. شمران العجلي، نشر: دار القبلة، جدة، ومؤسسة علوم القرآن بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨هـ.

٣٧ ـ **فتح البيان في مقاصد القرآن**، لصديق حسن خان، نشر: دار الفكر العربي.

٣٨ ـ **القرطبي مفسراً** «رسالة ماجستير» إعداد: علي بن سليمان العبيد، قسم القرآن وعلومه كلية أصول الدين بالرياض جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سنة ١٤٠٢هـ.

٣٩ ـ **ابن قيم الجوزية**، لعبدالعظيم شرف الدين، نشر: مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة الثانية سنة ١٣٨٧هـ.

٤٠ ـ **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، للزمخشري، طبع بمطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر سنة ١٣٩٢هـ.

٤١ ـ **كشف المعاني في المتشابه من المثاني**، لبدر الدين بن جماعة، تحقيق: عبدالجواد خلف، الطبعة الأولى سنة ١٤١٠هـ، نشر: دار الوفاء بالمنصورة بمصر.

٤٢ ـ **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، لأبي محمد عبدالحق بن عطية، تحقيق: عدد من العلماء، نشر: وزارة الأوقاف بقطر سنة ١٣٩٣هـ.



٤٣ ـ **معالم التنزيل «تفسير البغوي»** تحقيق: خالد العك ومروان سوار، نشر: دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦هـ.

٤٤ ـ **معاني القرآن وإعرابه**، لأبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، تحقيق: د. عبدالجليل شلبي، نشر: عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨هـ.

٤٥ ـ **معجم المؤلفين**، لعمر رضا كحالة، نشر مكتبة المثنى، ودار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٦ ـ **المغني لابن قدامة**، تحقيق: د. عبدالله عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦هـ.

٤٧ ـ **مفاتيح الغيب «تفسير الفخر الرازي»**، نشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ.

٤٨ ـ **المقصد الأسنىٰ في شرح أسماء الله الحسنى**، لأبي حامد الغزالي، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٩ ـ **المنهاج في شعب الإيمان**، للحسين بن الحسن الحليمي، تحقيق: حليم بن محمد فودة، دار الفكر، الطبعة الأولى سنة ١٣٩٩هـ.

٥٠ ـ **النهاية في غريب الحديث والأثر**، لمجد الدين أبي السعادات بن الأثير، تحقيق: طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي، نشر: دار الباز بمكة المكرمة.

٥١ ـ **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، لإسماعيل باشا البغدادي، نشر: دار الفكر سنة ١٤٠٢هـ.



فهرس الموضوعات






AL-HOMAIDHI PRESS

